
شرح
العقيدة الواسطية

© ورثة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم

شرح العقيدة الواسطية من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم
آل الشيخ رحمه الله/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ؛
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ـ الرياض، ١٤٢٨هـ
٢٨٠ ص: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٣ ـ ٦٨٣ ـ ٥٧ ـ ٩٩٦٠

١ ـ العقيدة الإسلامية ٢ ـ التوحيد
أ. بن قاسم، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (معد) ب. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٢٨/٢٧١١

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٢٧١١
ردمك: ٣ ـ ٦٨٣ ـ ٥٧ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ

شرح
العقيدة الواسطية

من تقريرات

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

رحمه الله ت ١٣٨٩هـ

مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية

كتبها ورتبها

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

رحمه الله ت ١٤٢١هـ

أخرجها وأعدها للطبع

ابنه

د. عبد المحسن بن محمد بن قاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فإن العقيدة الصحيحة هي الأصل الذي يبنى عليه الدين، وهي أشرف العلوم وأجلّها قدراً، وكان السلف رحمهم الله يولونها جُلَّ اهتمامهم تعليماً ونشراً، وإيضاحاً وبياناً، سار على هذا النهج القويم علماء أفذاذ في مختلف العصور والقرون، من هؤلاء سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - مفتي الديار السعودية في زمانه، ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية المتوفى عام ١٣٨٩هـ، فقد كان أمة في علمه وفضله، وفي دروسه وفتاواه، عكف على تدريس العقيدة أكثر من أربعين عاماً، يشرحها كل يوم كما يشرح غيرها من علوم الحديث والفقه والنحو وغيرها، لم يعتره في ذلك كلل، ولم يصبه ملل.

وهبه الله حسن التعليم، وجزالة اللفظ، وقوة المعاني، مع سعة العلم ورجاحة العقل، فتخرّج على يديه علماء أجلّاء، من أعلامهم: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ عبد الله ابن محمد بن حميد، والجد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مع ابنه محمد (الوالد) رحمهم الله جميعاً.

وقد كان الوالد محمد ـ رحمه الله ـ، ملازماً للشيخ محمد ابن إبراهيم ـ رحمه الله ـ ملازمة تامة، امتدت اثنتين وثلاثين سنة، من عام ١٣٥٧هـ، إلى وفاة سماحته عام ١٣٨٩هـ، وكان الوالد ـ رحمه الله ـ يقيّد ما يسمعه من سماحته، من فتاوى وشروحات وتقريرات، ثم جمع فتاواه ورسائله في أربعة عشر مجلداً مع الفهارس، واعتذر من الاستمرار في التدريس في الجامعة، لإخراج شروحات الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ للمتون، فأخرج شرح متن (كشف الشبهات)، وشرح متن (آداب المشي إلى الصلاة).

وبين أيدينا شرح متن (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قرأها الوالد على سماحته ثمان مرات، يقيد شرحه كاملاً في كل مرة من عام ١٣٦٧هـ، فتكررت كتابته لهذا الشرح ثمان مرات، يكتبه في حينه بلفظه وحروفه من فيه، لما وهبه الله من سرعة الكتابة، فكان يقيد تلك الشروحات ويسجلها في دفاتره، محافظة على أمانة النقل، وحرصاً على تقييد الفوائد، ثم كمّل بعضها ببعض ورتبها، واختار أوضحها وأشملها، فتحصل منها شرحٌ وافٍ، سهل العبارة، جزل الألفاظ، غزير العلم، في بيان معتقد أهل السنّة والجماعة في الأسماء والصفات وغيرها، وقد يَسُوق غير عبارة من شرح الشيخ ـ رحمه الله ـ تتميماً للفائدة، ويصدّرها بقوله: «عبارة أخرى».

وللوالد ـ رحمه الله ـ تعليقات وضعها في الحاشية صدّرها بقوله «قلت» أَثبتُّها في مواضعها، ثم أدركته المنية عام ١٤٢١هـ قبل إخراج الكتاب، ولأهمية متن (العقيدة الواسطية) ولحاجة المسلمين إلى شرحها، واصلت العمل لإخراج هذا الشرح الفريد بعد وفاة

الوالد ـ رحمه الله ـ، سائراً على نهجه، ووضعت له عناوين في جانب الشرح، ليسهل فهمه، وعزوت الأحاديث الواردة في الشرح إلى من أخرجها، ووضحت ما قد يشكل فهمه أو ما يحتاج إلى توضيح، ووضعت ترجمة موجزة للشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ، وفهرساً مفصلاً للكتاب.

أسأل الله أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بمتنه، وأن يجزي علماء المسلمين أجزل المثوبة، وأن يتغمدهم بمغفرته ورحمته، وأن يجمعنا بهم في روضات الجنات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد المحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي
والقاضي بالمحكمة العامة
بالمدينة النبوية

ترجمة موجزة
للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله(١)

هو العلاّمة الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بني تميم.

وُلد في مدينة الرياض عام ١٣١١هـ، وتلقى القرآن وهو ما بين الثامنة والعاشرة من عمره، وفي السادسة عشر من عمره أصيبت عيناه بالرمد فكف بصره.

*** شيوخه:**

جدّ في طلب العلم وقرأ على عدد من المشايخ منهم:

والده الشيخ إبراهيم، قرأ عليه الفرائض.

والشيخ عبد الله بن راشد، قرأ عليه الفرائض أيضاً.

وعمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، تلقى عليه علم العقائد والحديث.

والشيخ حمد بن فارس، أخذ عنه الفقه والنحو.

---

(١) هذه الترجمة مقتبسة من ترجمة الوالد له، وهي بتمامها في مقدمة فتاوى ورسائل سماحته.

والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، أخذ عنه الفقه والحديث والمصطلح.

والشيخ محمد بن حمود، قرأ عليه الفقه.

*** ذكاؤه:**

كان رحمه الله حاد الذكاء، سريع الحفظ، قوي الذاكرة، يحفظ المتن من قراءته عليه من المرة الثالثة، وربما الثانية، وكان يدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها، ذاكراً رقم الصفحة أحياناً، وكان يحفظ متوناً عديدة في مختلف العلوم، ويدرك تقدير الوقت بالساعة لا يكاد يخطيء الحقيقة في بضع دقائق، مع أنه لم يستعمل الساعة في حياته.

*** اشتغاله بالتدريس:**

حين توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف أخذ سماحته مجلسه، فبدأ بالتدريس في المسجد في مختلف العلوم، ولما توفي الشيخ حمد بن فارس والشيخ سعد بن عتيق، توسّع في مجالس التدريس، وعمر أكثر نهاره به، فكان يجلس ثلاث جلسات منتظمة للتدريس، الأولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، والثانية: بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين إلى أربع ساعات، والثالثة: بعد صلاة العصر، وهناك جلسة رابعة ولكنها ليست مستمرة وهي بعد صلاة الظهر، وكان رحمه الله ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر.

وقد استمر يدرّس على هذه الحال إحدى وأربعين سنة.

*** عبادته:**

كان رحمه الله شديد الخشية من الله، كثير الذكر له سبحانه والاستغفار، وتذرف عيناه دمعاً حين يكون في مناجاة الله، أو يسمع ما يحرك القلوب، يقوم من الليل ما يقرب من الساعة والنصف، لا يترك ذلك لا سفراً ولا حضراً، وكان رحمه الله حافظاً للسانه من الغيبة، وعُرف بذلك منذ حداثة سِنّه حتى فارق الحياة، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقصهم، وكان يكره أن يمدحه أحد أو يثني عليه.

مخلصاً في عمله، لم يكن يوماً طالباً شهرة، ولا باحثاً عن سمعة، لم يُعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها.

*** زهده:**

لم يُعرف عنه رحمه الله أنه اشتغل بالبيع أو الشراء، لا بالاستقلال ولا بالمشاركة، بل كان مقتصراً على ما يتقاضاه من عمله، وكان يشغل عدة أعمال ولا يتقاضى إلا ما كان يأخذه قبل إحداث هذه الأعمال، ولم يكن يأخذ انتداباً، ولم يُعرف عنه أنه طلب من المسؤولين شيئاً يخصه.

*** صفاته:**

كان رحمه الله يتحلى بأخلاق فذة جمّة، أنيساً عند المخالطة، ألوفاً لمعاشريه، لا يتصف بشيء من الغلظة أو الفضاضة، مهيباً في قلوب الناس، شجاعاً قوي الشكيمة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتردد في إعلان الحق أياً كان المخاطب به، بعيد النظر قوي الاستنباط، كريماً سخياً معروفاً

بالبذل والعطاء، سليم الصدر، لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله منه أذى، بل كان ديدنه الصفح والتجاوز، بل المحافظة عليهم والدفاع عنهم أن ينالهم أحد بما يعرف أنه باطل.

*** الأعمال التي قام بها:**

١ ـ التدريس. واستمر عليه إحدى وأربعين عاماً بلا انقطاع.

٢ ـ الفتوى. وقد كان يفتي أكثر من خمسين عاماً.

٣ ـ رئيس القضاة.

٤ ـ رئيس مجلس القضاء.

٥ ـ رئاسة المعاهد العلمية والكليات.

٦ ـ الإشراف على مدارس البنات.

٧ ـ رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة.

٨ ـ رئاسة رابطة العالم الإسلامي.

٩ ـ إمامة جامع حي دخنة بالرياض.

١٠ ـ خطيب جامع الرياض الكبير.

وبعبارة عامة: فقد كان له رحمه الله، الإشراف التام على جميع الشؤون الإسلامية، داخل المملكة وخارجها، مما يتصل بالمملكة وتعنى بتوجيهه.

*** وفاته:**

نزل به مرض عام ١٣٨٩هـ، ثم اشتد به حتى دخل في غيبوبة تامة انتهت به إلى الوفاة في الرياض في ١٣٨٩/٩/٢٤هـ، وكان

طيلة مرضه يكثر من ذكر الله والاستغفار حتى أخذته الغيبوبة، وقد صُلي عليه في الرياض، وأمّ المصلين الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، وحضر الصلاة عليه جمع كثير من المسلمين.

تغمده الله برحمته ونفع بعلومه وأسكنه جنات النعيم.

*** آثاره العلمية المطبوعة:**

١ ـ فتاواه ورسائله. وقد جمعها الوالد رحمه الله فبلغت أربعة عشر مجلداً مع الفهارس.

٢ ـ شرح متن كشف الشبهات.

٣ ـ شرح متن آداب المشي إلى الصلاة.

٤ ـ شرح متن العقيدة الواسطية.

وهذه الشروحات للمتون كان الوالد رحمه الله يكتبها في الدرس أثناء شرح سماحته لها.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبب افتتاح المصنف كتابه بالبسملة)

ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة، اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، وعملاً بحديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمٰن الرحيم فهو أقطع»[1]، وفي رواية «أجذم»[2]، وفي رواية «أبتر»[3] والمعنى: ناقص البركة.

(الحمد لله) الحمد، قال المصنف: هو ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله.

وقال معناه أيضاً ابن القيم[4].

(الذي أرسل رسوله) محمداً ﷺ **(بالهدى)** هو العلم النافع،

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ٦/١٢٧ رقم ١٠٣٢٨، وابن ماجه ١/٦١٠ رقم ١٨٩٤، وابن حبان ١/١٧٣ رقم ١، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٢٠٨ رقم ٥٥٥٩ بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع».

(٢) رواه أبو داود ٤/٢٦١ رقم ٤٨٤٠ ولفظه: «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع».

(٣) رواه الإمام أحمد ٢/٣٥٩ رقم ٨٦٩٧، والنسائي في السنن الكبرى ٦/١٢٨ رقم ١٠٣٣١ بلفظ: «كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتر، أو قال: أقطع».

(٤) قلت: في بدائع الفوائد ٢/٣٢٥ قال: «الحمد: إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه».

ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمَّداً عبده

(**ودين الحق**) هو العمل الصالح، (**ليظهره على الدين كله**) ليعليه وينصره على سائر الأديان، من اليهودية والنصرانية والوثنية، وغير ذلك.

ولما بعث الله نبيه ﷺ وأرسله بالهدى ودين الحق، وكان له أعداء أظهره عليهم وأتمه، فإن هذه النعمة ـ وهي نعمة الدين ـ لا تتم إلا بما يحميها ويحوطها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

(**وكفى بالله شهيداً**) على أنك نبي، وسينصرك ويظهر دينك.

(**وأشهد أن لا إله إلا الله**) أنه لا معبود حق إلا الله.

(**وحده**) تأكيد للإثبات (**لا شريك له**) تأكيد للنفي، فهو تأكيد بعد التوكيد، اهتماماً بمقام التوحيد.

(**إقراراً به وتوحيداً**) يعني: أُخبر عن اعتقاد وعلم(١) أن لا إله إلا الله، أي: أنه لا معبود حق إلا الله.

(**وأشهد أن محمداً عبده**) هذه العبودية في حق المصطفى ﷺ هي عبودية التشريف والتكريم، وهذا أخص وصفه ﷺ، فإنه ﷺ

---

(١) قلت: وأعمل، وإلا فالإقرار وحده لا يكفي. ينظر مجموع الفتاوى ٧/٢٩٦.

خُيِّر بين أن يكون مَلِكاً نبياً، وبين أن يكون عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً[1]. وله ﷺ من هذه العبودية أكملها وأعلاها، فإن العبودية عبوديتان: خاصة وعامة:

(أنواع العبودية)

عبودية تابعة للربوبية: وهي التي دخل فيها جميع الخلق كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

وعبودية تابعة للألوهية والعبادة: وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية.

وذُكِر ﷺ بالعبودية في أشرف مقاماته كما في آية الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، وقال في مقام الإنزال عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾، وقال في مقام التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.

(فائدة الجمع للنبي ﷺ بين العبودية والرسالة)

(ورسوله) الجمع له ﷺ بين العبودية والرسالة فيه:

الرد على أهل الإفراط الذين غلو فيه حتى جوَّزوا الاستغاثة به

(١) كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٣١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا مَلَك ينزل، فقال جبريل: إن هذا المَلَك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، قال: أفملِكاً نبياً يجعلك، أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبداً رسولاً».

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

في كل ما يستغاث بالله فيه، فهؤلاء في الحقيقة ما جعلوه عبداً؛ بل اتخذوه معبوداً، ورفعوه فوق منزلته.

وعلى أهل التفريط بترك متابعته، والرضا عن سنته بالأوضاع والقوانين الباطلة، فهم ما شهدوا في الحقيقة أنه رسول الله، بل شهادتهم ناقصة على حسب ما كان معهم من تلك الأمور.

(معنى الصلاة على النبي ﷺ)

(صلى الله عليه) معنى الصلاة عليه: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وجَمَع بين الصلاة والسلام عليه، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

(من هم آل النبي ﷺ؟)

(وعلى آله) آله قيل: إنهم أتباعه على دينه. وقيل: إنهم أزواجه وذريته، وهذا أرجح الأقوال، كما أن الذي يليه[1] هم من تَحْرم عليهم الزكاة.

(وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً) أصحاب: جمع صاحب. والصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ ولو لحظة وآمن به.

(العلة في الجمع بين الآل والصحب)

وجَمَع بين الآل والصحب، كما جمع بين الصلاة على النبي ﷺ والسلام عليه، ففيه الرد على الروافض من قوله: «وأصحابه»، وعلى النواصب من قوله: «وآله» إذا عُني بهم أهل بيته[2].

---

(١) أي في الرجحان.

(٢) قلت: ويأتي قول ذكر معتقد الروافض، والنواصب الخوارج، والرد عليهم في ص ٢١٧.

أما بعد، فهذا اعتقاد الفرقة الناجية

(أما بعد) هذه الكلمة يؤتى بها عند الانتقال من أسلوب إلى أسلوب. والمعنى: أمَّا بَعْدَ ما تقدم، من حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ.

وأقرب الأقوال فيمن قال هذه الكلمة أوَّلاً: داود عليه السلام. وقيل: إنها فصل الخطاب الذي أعطيه، والصحيح خلافه، وأن فصل الخطاب الذي أعطيه عليه السلام هو الفصل بين الحق والباطل.

(فهذا) الإشارة إلى ما في هذه العقيدة الجليلة.

(معنى الاعتقاد)

(اعتقاد) الاعتقاد: مصدر اعتقد، والاعتقاد من العقد، مأخوذ من عقد الأصابع على ما تشد عليه، وهو يطلق على التصديق مطلقاً، وعلى ما يعتقد من الأمور الدينية مما يشد عليه ويعتقد، وتعيه وتمسكه القلوب، وسمّي الاعتقاد اعتقاداً؛ لأن القلوب تعقد عليه وتدين به وتلزمه، واعتقاد الشيء قبل عَمَلِه، والغالب أن من اعتقد بقلبه عَمِلَه.

(الفرقة الناجية) عند هلاك الفرق والأمم، كما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة[1]، وفي رواية «هم من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[2].

---

(١) رواه أحمد ٤/١٠٢ رقم ١٦٩٧٩، وأبو داود ٤/١٩٨ رقم ٤٥٩٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه ٥/٢٦، رقم ٢٦٤١ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والطبراني في الأوسط ٨/٢٢، رقم ٧٨٣٩ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

المنصورة إِلى قيام الساعة ـ أهلِ السنَّة والجماعة ـ.

وبعض أهل العلم ذكر الثلاث والسبعين الفرقة باجتهاده، لكن هذا من الإخبار بالغيب، وإن كان الكل مبتدعة لا شك، لكن التعيين ما فيه نص، وإن كانت أصول هذه البدع ترجع إلى الخمس التي وجدت في زمن السلف: الجهمية، والمرجئة، والخوارج، والرافضة، والقدرية.

(اصول البدع)

وهذ الحديث لا يدل على أن هذه الأمة أشر من غيرها من الأمم، كالنصارى واليهود، بل فيه بيان أن ما يوجد من الافتراق في تلك الأمم، يوجد في هذه الأمة مثله في الافتراق وأكثر.

«فهذا» المذكور في هذا الكتاب، هو اعتقاد الفرقة الواحدة الناجية من بين الفرق كلها (**المنصورة إلى قيام الساعة**) كما جاء في الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى تقوم الساعة»[1].

(من القاب اهل الحق)

(**أهل السنّة والجماعة**) هذا من ألقاب أهل الحق ـ وهذا اللقب ليس من ألقاب أهل الطرق ـ لمَّا كانوا يُؤْثِرون السنّة على غيرها من الطرق[2].

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٣٣١، رقم ٣٤٤٢، ومسلم ٣/ ١٥٢٣، رقم ١٩٢٠.

(٢) قلت: يأتي سبب استحقاقهم لهذا اللقب في آخر العقيدة في ص ٢٣٢ عند قوله: «ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنّة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة».

وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشرِّه.

(اعتقادهم)

(وهو الإيمان بالله) يعني: وبما وصف به نفسه في كتابه.

(وملائكته) الكرام، بوجودهم وعددهم، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي.

معنى إجمالاً: أنك تؤمن بهم جميعاً ـ جميع ما جاء عن الله فيهم ـ.

والتفصيل: إذا بلغك تفصيلاً تسميتُه. وكذلك الرسل الذين جاء تسميتهم نؤمن بهم تفصيلاً.

(وكتبه) وكذلك الإيمان بكتبه.

(ورسله) وكذلك الإيمان برسله إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي.

(سبب اختيار المصنف لفظة «والبعث بعد الموت» بدل «واليوم الآخر»)

(والبعث بعد الموت) والجهلة يستبعدون إعادة أجزاء هذا البدن بعد بلائها، فلذلك ذكر المصنف هذا اللفظ بدل «واليوم الآخر»، فإن المنكرين لليوم الآخر لا ينكرون قدرة الله على خلق الأجسام وإنزال المطر وغير ذلك.

وحقيقة الإيمان بالبعث: أن يؤمن الإنسان ويُقِرَّ أن هذه الأجسام تعاد كما كانت، وترد إليها أرواحها، وتنعم أو تعذب.

وقرر تعالى هذا الأصل بكمال علمه وكمال قدرته، ولهذا كان المعاد معلوماً بالعقل والشرع.

(والإيمان بالقدر خيره وشره) كما في حديث جبريل، وهذا هو

السادس من أركان الإيمان، فهذا الكتاب المؤلف معظمه في شرح هذه الأصول الستة، وإن كان قد ذكر أشياء غير ذلك. وقيل: إنها ترجع إلى ذلك.

(مراتب الدين)

والدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، فكل خصلة من خصال الإسلام داخلة في مسمى الإيمان، وكل خصلة من خصال الإيمان داخلة في مسمى الإسلام، ولكن إذا اقترنا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة؛ لأنها أغلب عليه، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة.

فالإسلام أغلب على الأعمال الظاهرة، والإيمان أغلب على الأعمال الباطنة، فهو أصدق في القلوب، وذلك أنه مشتق من الأمن والائتمان على الأمور الباطنة الخفية، فإن المُصدِّق أَمِن المُخْبِر. وأصله التصديق. وفي الشرع: تصديق خاص كما يأتي[1].

فهذه أصول الإيمان الستة التي عليها مبنى الإيمان، ويأتي تفصيلها فيما بعد، فإن المبتدعة صاروا شجاً في حلوق أهل السنّة وأهل الحق، وصنفوا وبدّعوا وحبسوا، فلذلك صنف أهل السنّة في العقائد المصنفات، وبينوا خطأ وضلال أهل البدع.

والمصنف ـ رحمه الله ـ أطال فيما كثر فيه جدال أهل البدع، والذين لم ينازعوا فيه ذكر فيه كالإشارة.

---

(١) قلت: في فصل خاص في ص ١٨٤ عند قوله: «فصل ومن أصول أهل السنّة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل..».

ومن الإِيمان بالله؛ الإِيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمدٌ ﷺ، من غير تحريف

(لماذا لم يقل المصنف: والإيمان بالله؟)

(**ومن الإيمان بالله**) هذا هو الأصل الأول من أصول الإيمان الستة وهو أعظمها. ولم يقل المصنف «والإيمان بالله» لكون الإيمان بالله أقسام، الأول: الإيمان بوجوده وربوبيته. والثاني: الإيمان بوحدانيته في الألوهية[1]. والثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته، بل قال: «ومن الإيمان بالله».

(قاعدة أهل السنّة والجماعة في الأسماء والصفات)

(**الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمدٌ ﷺ**) في السنّة يقتصر عليه، ولا يزاد فيه ولا ينقص، لا يرد شيء من لفظه ولا معناه، وهذا سماعٌ محضٌ لا مجال فيه للرأي، قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «لا يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ في السنّة، لا يتجاوز القرآن والحديث»[2].

وهذا الذي قاله الإمام أحمد هو الذي عليه جميع الأئمة من أهل السنّة، فيُقتصر على ما وصف به نفسه، ويُثبَت ويُؤمَن به، ويُعتقدُ على ما يليق بجلال الله وعظمته.

(معنى التحريف وأنواعه)

(**من غير تحريف**) التحريف: التصريف، يعني: من غير تصريف عن المراد به، إنما ذلك لأهل البدع.

---

(١) إفراده بالوحدانية (عبارة أخرى).

(٢) قلت: وقد رد هذه العبارة ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل. مجموع الفتاوى ٥/ ٣١.

وتحريف النصوص تارة يكون للفظ والمعنى جميعاً، وتارة للمعنى وحده، فإن من المحرفين من يحرف اللفظ ويلزم منه تحريف المعنى، ومنهم من يحرف المعنى من غير تحريف اللفظ، ومنهم من يحرفهما جميعاً.

فمن تحريفهما جميعاً قول اليهود: «حنطة» بدل ﴿حِطَّةٌ﴾، وقول جهم: «استولى» فإنه قال: لو استطعت أن أحك من المصحف ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ لحككتها.

والثاني: تحريف المعنى، ـ وهي حرفة اليهود ـ وسائر تحريف نصوص الصفات الذي يسميه المبتدعة تأويلاً.

ومثال تحريف اللفظ فقط كقولهم: وكلَّم اللَّهَ موسى تكليماً بنصب الاسم الشريف.

(ولا تعطيل) التعطيل في الأصل: الإخلاء، من قولهم: جِيدٌ[1] عاطل، أي خالٍ من الحُليّ. من غير تعطيل للفظ وللمعنى، فالتعطيل هو: إخلاؤه تعالى من صفاته التي وصف بها نفسه.

(الجهمية هم أهل التعطيل)

وأهل التعطيل هم الجهمية، عطلوا النصوص، وهم أعظم كفراً وضلالاً من أهل التشبيه، كما قال بعض السلف: «المعطِّل يعبد عدماً، والمشبِّه يعبد صنماً، والموحِّد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً».

(كفر المعطلة أعظم من كفر الممثلة لوجوه)

وأهل التعطيل أعظم كفراً من أهل التشبيه لأمور:

الأمر الأول: أن عابد العدم أعظم كفراً من عابد الصنم.

(1) الجِيْد: العنق.

....

الأمر الثاني: أن هذا التعطيل محفوف بتمثيلين، مثلوا أولاً حيث لم يفهموا من النصوص الواردة في الصفات إلَّا التشبيه، الثاني أنهم لما نفوا الصفات لزمهم التمثيل بالمعدومات.

الأمر الثالث: أن كونه أشر تمثيلاً من الممثلة، أنهم يشبهونه بالمعدومات، بل بالممتنعات، فإنهم قالوا: ليس بكذا ولا كذا ولا كذا، حتى عطلوه من جميع الصفات، فشبهوا أولاً، وعطلوا ثانياً، وشبهوا ثالثاً، وأولئك مثلوه بالحيوانات ـ تعالى الله وتقدس ـ.

(المعتزلة والأشاعرة والماتريدية إخوان الجهمية في التعطيل)

وبهذه الأوجه، عرفنا أن كفر المعطلة، أعظم من كفر الممثلة. ومن هؤلاء: المعتزلة، فإنهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات، ويرون أن الأسماء لا معنى لها، لا تدل إلا على الذات فقط.

ومن فروع هؤلاء: الأشاعرة الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وهو منهم بريء، ومثلهم الماتريدية.

وقال بعض السلف أيضاً: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ تشبيه». وهذه العبارة عند السلف شهيرة متلقاة بالقبول عند الأئمة.

فأهل التشبيه، أثبتوا وغلوا وزادوا في الإثبات حتى وقعوا في كفر التشبيه.

وأهل التعطيل، غلوا وزادوا في التنزيه حتى وقعوا في كفر التعطيل، فصاروا ضالين من جهتين:

الأولى: فهمهم التشبيه من الآيات الواردة في إثبات الصفات.

الثاني: تشبيهه بالجمادات والمعدومات.

(ومن غير تكييف) التكييف: تعيين كيفية من الكيفيات للصفة، فيقول: كيفيتها كذا وكذا، كقولهم ـ والعياذ بالله ـ: هو كذا وكذا. فممنوع كيف؟ ولِمَ؟

(معنى التكييف والتمثيل)

(ولا تمثيل) وهو أن يقول: هذا مثل هذا، كأن يقول: يد كيدي ونحو ذلك.

ولم يقل المصنف: «ولا تشبيه». وقد أجاب عن هذه اللفظة حين امتحانه، فقال: إنها لم ترد في القرآن، إنما ورد نفي التمثيل كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فاقتصرتُ عليها.

(أقسام الناس في باب الصفات)

والناس في باب الصفات طرفان ووسط:

الطرف الأول: حرفوا ونفوا وجحدوا الصفات. وهم الجهمية أتباع جهم بن صفوان، أخذ هذا المذهب عن شيخه الجعد بن درهم ـ ولم يكن يظهرها ـ والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي ـ الساحر الذي سحر النبي ﷺ ـ، وأظهرها الجهم فنسبت إليه، وقيل: إن الجهم أخذها عن كفار الهند[1].

فالجهم سلك هذا المسلك ـ نفي الصفات ـ من جهله، زعم

---

(١) قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «مبدأ التجهم في هذه الأمة، كان أصله من المشركين ومبدلة الصابئين من الهند واليونان، وكان من مبدلة أهل الكتاب من اليهود، وأن الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان ومن اتبعهما أخذوا ذلك عنهم» بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٧٤.

أنه إذا أثبتها وقع في التشبيه، فنفاها مخافة التشبيه، وزعم أن نفيها تحقيق لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لم يفهم من صفات الله تعالى إلا ما يفهمه من صفات المخلوقين.

الطرف الثاني: أفرطوا في الإثبات وشبهوا ومثلوه بصفات المخلوقين، فضربوا النصوص بعضها ببعض، وزعموا أن هذا مدلولها وردوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وهاتان الفرقتان في طرفي نقيض.

وإطلاق التفويض في الصفات شر من التحريف. وقول مالك ظاهر[1]. وابن عباس وغيره من الصحابة فسروا الصفات. وتفويض الكُنْهِ والكيفيةِ صواب.

والقسم الثالث: الأمة الوسط بين هذين الطرفين ـ أهلُ السنّة والجماعة ـ، سلكوا في هذا الباب العظيم المسلك القويم الذي جاءت به الكتب السماوية، ونطقت به الرسل، ودرج عليه الصدر الأول ومن تبعهم.

وهذا المسلك الذي هداهم الله له، هو الوسط بين الطرفين، والهدى بين الضلالتين، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ في السنّة، إثباتاً بريئاً من تمثيل الممثلين، ونفوا عنه ما لا يليق بجلاله وعظمته نفياً بريئاً من تعطيل المعطلين، على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ لأن باب الأسماء والصفات توقيفي، لا مجال للعقول والقياس والذوق فيه. والتحريف حرفة اليهود والجهمية، والتعطيل حرفة الجهمية، والتمثيل طريقة المشبهة.

(١) «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(**بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾**) يعني أهل السنّة والجماعة: يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾) ويثبتون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، كالسميع والبصير.

(آية فيها رد على أهل التمثيل وأهل التعطيل)

وفي هذه الآية الرد على الطائفتين: أهل التعطيل وأهل التشبيه، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ رد على أهل التشبيه. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على أهل التعطيل.

(طريقة الكتاب والسنّة في الأسماء والصفات)

وفي هذه الآية بيان طريقة الكتاب والسنة في الأسماء والصفات، وأن طريقتهما في النفي الإجمال، وفي الإثبات التفصيل، فإن الكتاب والسنة جاءا بنفي مجمل وإثبات مفصل، وهي طريقة أهل السنّة والجماعة.

والكلام في باب الأسماء والصفات دائر بين النفي والإثبات، بخلاف طريقة الجهمية وأضرابهم، فإنهم أثبتوا إثباتاً مجملاً ونفوا نفياً مفصلاً، فخالفوا الكتابَ والسنّةَ وأهلَ السنّة والجماعة في التأصيل والتفصيل، زعماً منهم أنه تنزيه لله.

والكاف في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾ فيها كلام كثير، وليست زائدة، بل جاءت إحداهما مؤكدة للأخرى، لمزيد تأكيد عدم المماثلة.

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيِّفون ولا يمثِّلون صفاته بصفات خلقه؛

(محاذير يتجنبها أهل السنّة والجماعة في الأسماء والصفات)

(**فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه**) حاشا وكلا، بل هذه طريقة الجهمية والأشاعرة.

(**ولا يحرفون الكلم عن مواضعه**)، بل يقرون الكلم على معانيه وما أريد به.

(**ولا يلحدون في أسماء الله وآياته**) والإلحاد في اللغة: هو الميل، ومنه تسمية موضع الميت في القبر لحداً، لميله عن وسطه.

وفي الشرع: هو الميل والخروج عن الحق فيها إلى الجور.

وقد ذم الله تعالى من ألحد في أسمائه وآياته، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ فمن عطل فقد ألحد، ومن مثل فقد ألحد، ولا يسلم من الإلحاد إلا من آمن بها كما جاءت من غير تمثيل، وكذلك الآيات من حملها ما لا تطيق فقد ألحد، ومن نقصها فقد ألحد.

وأهل التعطيل والتشبيه كلهم من أهل الإلحاد.

(**ولا يكيِّفون**) صفاته فلا يقولون: كيفيته كذا وكذا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

(**ولا يمثِّلون صفاتِه بصفات خلقه**) فما يضاف إلى الخالق فهو

لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كُفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ـ سبحانه وتعالى ـ،

يليق به ويختص به، كما أن ما يضاف إلى المخلوق ويليق به يختص به، وإن اجتمعا في الاسم أو الصفة، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فإن القول في الذات كالقول في الصفات، يحتذى حذوه ويقاس عليه، فتُثْبت إثبات وجود، لا ثبوت تمثيلٍ فيه، فكما أن ذات الباري سبحانه لا تدانيها ولا تقاربها ولا تشابهها ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته سبحانه.

(القول في الذات كالقول في الصفات)

(لأنه سبحانه لا سمي له) المعنى لا يساميه أحد، أو لا يستحق مثل اسمه، وكلا المعنيين راجع إلى الآخر، لكون اسمه تعالى دال على الكمال. والخلق وإن كان لهم نوع كمال فإن الله هو الذي أكسبهم إياه.

(لماذا يتجنب أهل السنّة والجماعة تلك المحاذير في الأسماء والصفات؟)

(ولا كُفء له) الكُفْء: المساوي.

(ولا ند له): ولا مثل له.

(ولا يقاس بخلقه ـ سبحانه وتعالى ـ) فيُضْرَب له مثلاً، فيقاس بالمخلوق في مَثَلٍ يستوي هو والمخلوق فيه، ـ تعالى وتقدس ـ، فجميع القياس في حقه ممتنع شرعاً وعقلاً. نعم قياس الأولى، فيقال: ما كان في حق المخلوق كمال، فإن الله أحق بالكمال، فيثبت لله تعالى على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل.

(القياس الممنوع والقياس الجائز)

فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه.

(**فإنه سبحانه أعلم بنفسه**) من خلقه، وبما يجوز في حقه وما يمتنع عليه، فعلينا أن نذعن ونصدق ونؤمن بما يصل إلينا، ونعتقده حقيقةً على ما يليق بجلال الله وعظمته.

(باب الأسماء والصفات توقيفي)

وهذا الباب توقيفي، فيُنْطَق حيث نطق الكتاب والسنّة، وقد نطق الكتاب والسنّة بالصفات، وهو الحق والتوحيد، فلا محذور في النطق بما وصف به نفسه، والخلق ما لهم علم بالأمور الاعتقادية إلا ما أخذوه من مشكاة النبوة.

(**وبغيره**) وأعلم من خلقه بأنفسهم. والعلم أقسام، فأعلاها العلم بالتوحيد. والتوحيد ثلاثة أقسام ومنها توحيد الأسماء والصفات، وهو التوحيد العلمي الاعتقادي.

(**وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه**) وقد وصف نفسه.

ثم رسله صادقون مُصدَّقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون.

(ثم رسله) هذا عطف على قوله: «فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه» مع ما تقدم من قوله: «ومن الإيمان بالله..» الخ.

(صادقون) وقد وصفوا الله بصفات، وهم معصومون في كل ما بلغوه عن الله، لا ينطقون عن الهوى.

(مُصدَّقون) فيما أخبروا به عن ربهم، أي مؤتمنون فيما أوحي إليهم، فيجب تصديقهم فيما بلغوه عن ربهم، والالتفات إلى ما قالوا والتمسك به. وفي بعض النسخ «مَصْدُوقون».

(أهل التعطيل وأهل التمثيل قائلون على الله بغير علم)

(بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون) هذا راجع إلى أهل التعطيل والجحد، وإلى أهل التمثيل، كلهم قائلون عليه بغير علم، فإنهم لا صادقون ولا مصدقون، ولا التفات إلى ما قالوا؛ بل كاذبون ومُكذِّبون، ومعتمدون على نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان، فإن منهم من عطل وجحد، فهو قائل بلا علم مع مخالفتهم لما عرفوا من العلم، وكذلك الذين يقولون إنها لا تدل على كذا، ولا على كذا، فكلهم مخالفون للرسل. وكل من وصف الله بغير ما وصف به نفسه، فهو قائل على الله بلا علم.

فكلٌّ من الجهمية وأضرابهم والممثلة تائه، الكل قائل على الله بغير علم، وواقع فيما هو أعظم من الشرك، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ

ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكل من حرف أو ألحد أو عطل، فهو قائل على الله بلا علم، بل هو مخالف للعلم الواضح.

(ولهذا) هذا تعليل من المصنف، فالله سبحانه الذي هذا شأنه **(قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فسبح نفسه)** وقدسها، والتسبيح: التنزيه والتقديس، **(عما وصفه به المخالفون للرسل)**، مما قالوه في أسمائه وصفاته، وشرعه وقدره، لأن ما قاله أعداء الرسل نقص وعيب لا يليق بجلال الله.

(حمد نفسه تعالى لما له من الأسماء والصفات)

(وسلَّم على المرسلين) ذكر في الآية السلام عليهم **(لسلامة ما قالوه)** في الله وفي أسمائه وصفاته، وشرعه ودينه **(من النقص والعيب)**، لأن ما ذكروه هو الصدق والكمال، وضده الكذب والعيب، فاستحقوا السلام من الله، وحمد نفسه لما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات.

فلا عدول لأهل السنّة والجماعة عما جاء به المرسلون،

(طريقة أهل السنّة في الأسماء والصفات: النفي المجمل، والإثبات المفصل)

(وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه) يعني في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ **(بين)** نوعين: **(النفي والإثبات)**:

نفى ما لا يليق بجلال الله وعظمته نفياً عاماً مجملاً كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وأما الإثبات فأثبت إثباتاً مفصلاً ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ونظائر ذلك من الإثبات، فَعَكَس ذلك أهل التجهم والاعتزال، زعماً منهم أنه تنزيه لله، ووقعوا في ضلالتين: في معاكسة الكتاب، وفي وصفه تعالى بغير ما وصف به نفسه.

(لا يستقيم المقصد إلا بعدم العدول عما جاء به الرسل)

(فلا عدول لأهل السنّة والجماعة عما جاء به المرسلون) يعني: أنه إذا كان كذلك، تبين أنه لا عدول لأهل السُّنة والجماعة عما جاء به المرسلون، يعني متعين عليهم التمسك بمسلك المرسلين، والأخذ بما جاء عنهم الذي من تمسك به نجا، ومن تركه هلك، فإنه ضروري تمسكهم بالحق وعدم العدول عما جاء به المرسلون، ولازمٌ هذا ولا غَرْو، ولا استَقَام مقصدُهم إلا بعدم العدول عما جاء به المرسلون.

وما جاء به المرسلون هو إثبات صفات الكمال على وجه التفصيل، وفي النفي: نفي ما لا يليق بالله على وجه الإجمال كما تقدم.

فإنه الصراط المستقيم، صراطُ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

(**فإنه الصراط المستقيم**) الذي جعله الربّ موصلاً للعباد إلى ربهم، ولا طرق سواه، إنما هو هذا الطريق الأوحد الذي يَصل الخلقُ إلى ربهم منه، فلا طريق لهم موصل إلى ربهم ودار كرامته إلا من هذا الطريق.

(أنواع النعم)

(**صراطُ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين**)، النعمة الكاملة نعمة الدين، فإن لله نعمتين:

نعمة كاملة مطلقة: وهي نعمة الدين.

ونعمة ناقصة مقيدة: وهي التي يشترك فيها البر والفاجر، من المأكل والمشرب ونحو ذلك.

فالأولى: نعمة الأرواح، والثانية: نعمة الأجسام، وشتان بين مُشرِّق ومُغرِّب، فإن الإنسان مخلوق من مادتين، روحانية نورانية، وأرضية جسمانية.

فالنعمة التامة، لأهل الإيمان، وهي المعنية بقوله في الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، والمُنعَم عليهم الذين يُسأل اللّهُ الهدايةَ إلى طريقهم هم في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾.

فنعمة هؤلاء هي النعمة المطلقة، وهؤلاء الطبقات الأربع أئمة هذه النعمة، ولهم أتباع على حسب اتِّباعِهم.

....

والنعمة المقيدة، يَستحق الربُّ عليها الشكر، ولكنها بالنسبة إلى المطلقة كَلاَ نعمة، فتلك هي التي تستمر في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما الثانية فهي أيضاً نعمة ابتلاء وامتحان.

النعمة معرفة الدين والعملُ به، والمُنعَمُ عليهم على طبقات، وترتيبهم على ما في الآية، فهذا طريق المُنعَم عليهم النعمة الكاملة، هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، على ما يليق بجلاله وعظمته من الصفات من غير تمثيل، ونفي ما نفاه الله عن نفسه نفياً بريئاً من التعطيل.

(احسن الرفقاء)

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ يعني: من صار معهم فهو مرافق لهم، والذي يُحَصِّل هذا حَصَّل رفيقاً ما مثلُه رفيقاً، يعني وحسن هذا الرفيق رفيقاً، يعني هؤلاء هم أحسن الرفقاء.

وقد دخل في هذه الجملة، ما وصف به نفسه في سورة الإخلاصِ التي تعدل ثلث القرآن،

(**وقد دخل في هذه الجملة**) السابقة، أي جملة «ما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات» وهي كونه تعالى جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات.

(**ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص**) يعني: التوحيد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة. وكذلك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تسمى سورة الإخلاص فإنها دلت على التوحيد. فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلت على التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ دلت على التوحيد القصدي الإرادي الطلبي.

(**التي تعدل ثلث القرآن**) جاء ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأت: قل هو الله أحد مرة، فكأنما قرأت ثلث القرآن، وإذا قرأت: قل هو الله أحد مرتين، فكأنما قرأت ثلثي القرآن، وإذا قرأت: قل هو الله أحد ثلاث مرات، فكأنما قرأت القرآن كله»[1].

(وجه كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن)

ووجه كونها تعدل ثلث القرآن، من حيث إن القرآن قسمان: قسم: إنشاء، وهو طلبٌ، ـ أمر ونهي ـ.

وقسم: خبر، والأخبار التي في القرآن منقسمة إلى قسمين:

قسمٌ خبر عن الخالق، وقسمٌ خبر عن المخلوق.

ـ قسمٌ خبر عن الباري ـ جل جلاله ـ وإثبات صفاته، وقسمٌ خبر عن المخلوق وحاله ونشأته وما أعد له ـ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٦/١٢٨، رقم ٥٩٩٦.

حيث يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وهذه السورة مُمَحّضة للخبر عن الخالق تعالى. سبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها. صَدْرها إثبات وآخرها نفي، بخلاف غيرها من السور.

(ما تضمنته سورة الإخلاص من الأسماء والصفات)

(حيث يقول: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾) هذا فيه إثبات الأحدية للرب تعالى وتفرده بها، المنافية للشريك والمثيل والنديد من كل وجه.

(﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾) فيه إثبات الصمدية لله سبحانه ووصفه بها.

ومعنى الصمد: الذي يصمد إليه الخلائق كلهم يوم القيامة، وكل تفسير للصمد فهو يرجع إلى إثبات الكمال.

(﴿لَمْ يَلِدْ﴾) أحداً. فيه نفي الولد عنه سبحانه وتعالى، وتنزه عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، لمنافاته لكماله سبحانه وتعالى.

(﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾) ولم يلده أحد، ففيه نفي الوالدة عنه سبحانه وتعالى، لمنافاته لكماله.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾) فيه نفي الكفو وهو المساوي له سبحانه، لمنافاته لكماله.

ففي هذه السورة نفي النقائص والعيوب عنه تعالى، وإثبات الكمال له تعالى.

وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول:
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ

(اشتمال آية الكرسي على عشر جمل، منها ما هو نفي، ومنها ما هو إثبات)

(**وما وصف به نفسه**) وكذلك دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه (**في أعظم آية في كتابه**) وهي آية الكرسي، جمع تعالى فيها بين النفي والإثبات، فإنها اشتملت على عشر جمل، وفي ضمن تلك الجمل ما هو نفي وما هو إثبات (**حيث يقول:**)

(﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) فيها نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وأنها لا تصلح لغير الله؛ بل لا تصلح إلا لله، وأما غيره فلا يصلح لها، وكل مألوه غير الله فإلٰهيته بالباطل والضلال.

(﴿إِلَّا هُوَ﴾) فيه إثباتها لله سبحانه دون كل ما سواه.

(﴿ٱلْحَىُّ﴾) فيه إثبات صفة الحياة الكاملة المطلقة لله سبحانه.

(﴿ٱلْقَيُّومُ﴾) فيه إثبات صفة القيومية. والحياة والقيومية يستلزمان سائر الصفات، من القدرة والسمع والبصر وغير ذلك.

(﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾) وهي الذهول والغفلة، وهي دون النوم.

(﴿وَلَا نَوْمٌ﴾) فيه نفي النوم.

والنفي قسمان: نفي محض، وهذا مراد لذاته ولا يقع في الصفات، ونفي مراد به الإثبات كنفي السِّنَة والنوم عنه سبحانه، وذلك لكمال حياته وقيوميته تعالى.

(﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) هذا فيه إثبات ملك السموات والأرض، وتفرد الله بملك ذلك.

مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ **ـ أي لا يكرثه ولا يثقله ـ**

(﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾) فيه نفي الشفيع وهذا نفي ظاهر. وهذا النفي دخل فيه جميع الشفعاء، حتى سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا في القيامة لا يشفع حتى يسجد، ويقال له: «ارفع رأسك، واشفع تُشَفَّع، وسل تعطه»[1].

ففيه نفي الشفاعة التي من غير إذنه، وإثباتها بإذنه تعالى.

(﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾) فيه إثبات تفرده بالعلم سبحانه.

(﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾) أن يطلعهم عليه، ففيه إثبات سعة علمه.

(إثبات الكرسي لله)

(﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾) فيه إثبات الكرسي، يعني: أنه أوسع منها بكثير، وجاء في الأحاديث أنه من جملة المخلوقات، وجاء في السنّة أنه موضع القدمين، وليس كرسيه علمه كما يقوله المبتدعة، فإن في هذه الآية الرد عليهم، فهم ينفون الكرسي والعرش، يريدون بذلك نفي العلو؛ ولهذا أهل العلم يترجمون ببابٍ في العرش بابٌ في الكرسي، وهذا كله رد على الجهمية والمبتدعة.

(﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ **ـ أي لا يكرثه ولا يثقله ـ**) لا يثقل عليه

---

(١) رواه البخاري ٣/١٢١٥، رقم ٣١٦٢، ومسلم ١/١٨٥، رقم ١٩٤.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

ولا يشق عليه، لكمال قدرته وقهره.

(﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾) الذي لا أعلى منه تعالى. له العلو الكامل من جميع الوجوه: علو القدر والشرف، وعلو القهر والسلطان لكل شيء، وعلو الذات والفوقية على جميع المخلوقات، فإنه أعلى من كل شيء، قدراً وقهراً وفضلاً، وأعلى من كل شيء علواً وذاتاً وسلطاناً.

(﴿ٱلْعَظِيمُ﴾) الذي لا أعظم منه سبحانه، ولا أكبر ولا أجل.

(فضل قراءة آية الكرسي قبل النوم)

(ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة، لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح) أشار بهذا إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه أتاه شيطان ليسرق من تمر الصدقة، ثم يحلف أنه لا يعود..» الحديث فذكر له آية يسلم بها من السراق، فقال ﷺ: «صدقك وهو كذوب»[1] من عادته، فيفيد عظم شأن هذه الآية.

---

(١) رواه البخاري ٢/٨١٢، رقم ٢١٨٧.

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،

(إثبات اسم الأول والآخر، والظاهر والباطن لله واتصافه بها ومعانيها)

(وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾) هذا أيضاً مما دخل في الجملة السابق ذكرها. جملة: «ما وصف وسمى به نفسه، بين النفي والإثبات».

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ هذه الآية فيها إثبات هذه الأسماء الحسنى الأربعة، واشتملت على اتصافه تعالى بها، وتفسير هذه الأسماء الأربعة جاء في الحديث «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1].

وحديث «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله»[2] يعني أنه سبحانه وتعالى بوجوده وأوليته. «ولم يكن شيء قبله» ليس معناه كان قبل أن لم يكن حدث، لا.

(﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾) واشتملت هذه الآية على اتصافه بالعلم بكل شيء، فشمل علمه الموجودات كلها، والمعدومات التي تكون، والتي لا تكون، كيف تكون لو كانت، بخلاف الممتنعات فإنها ليست شيئاً حتى تُشمل بالعلم.

---

(١) رواه أبو داود ٤/٣١٢، رقم ٥٠٥١، والترمذي ٥/٥١٨، رقم ٣٤٨١.

(٢) رواه البخاري ٦/٢٦٩٩، رقم ٦٩٨٢.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾،

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

(إثبات الحياة لله وما تستلزمه من الصفات)

(وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾) هذه الآية فيها إثبات هذا الاسم، وإثبات مدلول هذا الاسم وهي صفة الحياة لله سبحانه، وهي تستلزم السمع والبصر والعلم والقدرة ونحو ذلك. ونفي الموت لمنافاته للحياة.

(إثبات اسمي الحكيم والخبير وإثبات مدلولهما)

(وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾) فيه إثبات هذين الاسمين، أحدهما: الحكيم وهو الذي يضع الأشياء مواضعها. والثاني: الخبير، وإثبات مدلول هذين الاسمين وهما الحكمة والخبرة. والحكمة هي المنافية للسفه والعبث، فهو تعالى الحكيم في أقضيته وشرعه ودينه، وهي أبعد شيء عن السفه وعن خلاف المصلحة. والخبرة أخص من العلم، هي كمال العلم.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾،

(إثبات صفة العلم)

(﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾) فيه إثبات علمه الشامل، فما من داخل في الأرض أو خارج منها، ولا نازل من السماء ولا صاعد إليها، إلا وهو مشمول بالعلم.

(﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾) وهي الخمس المذكورة في الحديث: «خمس لا يعلمهن إلا الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾»[1] فهذه الخمس لم يَطَّلع عليها ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

(﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾) فيه إثبات صفة العلم وشموله لجميع الأشياء، فما من شيء إلا وهو مشمول بالعلم، وهو أشمل من القدرة، وفيه إثبات الكتابة وهي إحدى المرتبتين في القدر كما يأتي[2].

---

(١) رواه مسلم ١/٣٩، رقم ٩.

(٢) في ص ١٦٩.

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

(وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة العلم.

(وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة القدرة، وهي مدلول اسمه القدير، وإثبات صفة العلم، وشمول القدرة وشمول العلم، فما من شيء إلا دخل في القدرة إلا ذاته ـ جل جلاله ـ فإنها لا تقبل التصريف، فإن القادر لا يكون مقدوراً. فشملت قدرته ما كان وما يمكن أن يكون، فإن الله قادر على الموجودات والمعدومات والممكنات، ولا خرج عن ذلك إلا الممتنع، فإنه ليس بشيء حتى يُشمل.

(صفة القدرة وشمولها)

وفي إثبات القدرة على كل شيء، الرد على المُرْشِدة الذين يقولون: إن الله لا يقدر إلا على ما يشاء، وأما ما لا يشاء فلا، وهم طائفة من المبتدعة معلومٌ بطلانُ قولهم من نحو ثمانين موضعاً من القرآن ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾) فيه كمال العلم، فإن الإحاطة بالشيء عِلْماً هي الإحاطة به من كل الجهات، فالعلم فيه شمولٌ مثلُ القدرة، بل الشمول الذي في العلم أعم من الشمول الذي في القدرة، فإنه تعالى أعلم بذاته وبأسمائه وصفاته وبشرعه ودينه وبجميع مخلوقاته.

....

وقد جاء في قصة الخضر وموسى، حين أتى عصفور فأخذ بمنقاره من البحر، فقال الخضر لموسى عليه السلام: «ما علمي وعلمك في علم الله، إلا مثل ما نقَّص هذا العصفور من هذا البحر»، وكما في الآية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

(إثبات اسم الرزاق والقوي والمتين لله)

(وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾) هذا فيه إثبات هذه الأسماء الثلاثة لله حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل.

(قواعد في الأسماء والصفات لخذها أهل السنّة من آية)

(وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾) هذا فيه نفي مماثلة الخلق لله سبحانه وتعالى، فتقرر بذلك أصل عظيم وهو عدم مشابهته لخلقه.

(﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾) هذا فيه إثبات هذين الاسمين. وفي هذه الآية بيان أن النفي إجمال، والإثبات تفصيل. نفي مجمل وإثبات مفصل.

وفيه الرد على الطائفتين: أهل الجحد والتحريف والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل، فإن طائفتي المبتدعة تقاسموا هذه الآية نصفين، وأهل السنّة أثبتوا الصفات على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(إثبات السمع والبصر لله)

(وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾) هذه الآية فيها إثبات الاسمين، وإثبات صفتين، وهما مدلول هذين الاسمين على ما يليق بجلال الله وعظمته، ولما نزلت هذه الآية جعل ﷺ إصبعيه في أذنيه، بياناً منه أنه سَمْعٌ حقيقةً، وبَصَرٌ حقيقة[1].

---

(١) قال أبو هريرة رضي الله عنه: «قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ فوضع أصبعه =

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

(إثبات المشيئة والإرادة لله)

(وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾) فيها إثبات صفة المشيئة لله سبحانه وتعالى التي تكون بها الأشياء، كما أنها لا تكون إلا بالقدرة والعلم.

(وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾) هذه الآية فيها إثبات المشيئة والإرادة.

(وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾) فيه إثبات صفة الإرادة.

(وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) فيه إثبات صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى، وكذلك بقية الآيات التي فيها إثبات صفة الإرادة.

= الدعاء ـ أي السبابة ـ على عينيه، وإبهاميه على أذنيه» رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٧٥، رقم ٦٣، وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٩٨، رقم ٢٦٥.

....

(الإرادة نوعان والفرق بينها وبين المشيئة)

ورد في النصوص إرادة ومشيئة، وصرح من صرح بترادفهما[1]، ولم يفطن للتفصيل، ولكن أولى ما يكون أن الإرادة إرادتان: كونية قدرية، وشرعية دينية.

وأما المشيئة فلم ترد في النصوص إلا كونية قدرية فلا تنقسم.

والشرعية الدينية تستلزم محبته ورضاه سبحانه وتعالى بخلاف الكونية القدرية.

فالإرادة في النصوص على قسمين: كونية قدرية وهذه موافقة للمشيئة، وإرادة شرعية دينية، فأراد الله من العباد شرعاً عبادته، والعباد انقسموا إلى قسمين: قسم أطاعوا، فاجتمع فيهم الإرادتان. فالكونية شرطُ وجود الفعل.

وقسم عصوا، فانفردت الكونية فيهم، ولا حظ لهم في الشرعية. وليست الكونية حجة لأحد.

إذا عرفنا ذلك فالإرادتان بينهما عموم وخصوص، يجتمعان في المطيع، ويفترقان في العاصي، فالمطيع أطاع الله فيما أراده الله منه شرعاً وديناً وتبع الإرادة الكونية القدرية. وانفردت الكونية القدرية في حق العاصي. فالكفار أبوا عما أراد الله منهم شرعاً، فلا تنالهم الإرادة الشرعية، ولا لهم فيها نصيب لحكمة الله وعدم صلاحيتهم لشيء من ذلك، هم خارجون عن إرادة الله الشرعية الدينية؛ وهي ما أراده على ألسن رسله من عبادته وحده.

---

(١) من الخائضين في القدر من المجبرة، كالجهم بن صفوان وأمثاله، فقالوا: ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة. مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٧.

وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾،

(إثبات صفة المحبة)

(وقوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة المحبة، وأن الله يحب أهل طاعته محبة تليق بجلاله وعظمته.

(﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾) هذه مثل التي قبلها.

(﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾) كذلك.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة المحبة.

(وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾) هذه الآية فيها زيادة أنه يُحَبُّ، ففيها إثبات المحبة من الجانبين.

(وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾) وهذه كالتي قبلها في أنه يُحِبُّ ويُحَبُّ.

(وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾) فيها إثبات صفة المحبة.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾.

(وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾) قال البخاري[1]: «يعني الحبيب»، وفيها إثبات صفة المغفرة وهي مدلول اسمه الغفور، والمغفرة هي: التغطية مع الوقاية، يعني الذي يستر عباده ويقيهم عقوبة الذنوب.

قَصْدُ المصنفِ منها كلِّها إثبات صفة المحبة، وأن الله ـ جل جلاله ـ يحب حقيقة محبة تليق بجلاله وعظمته، لا كمحبة المخلوقين، يحب رسله وعباده الموصفين بهذه الصفات، وفيها زيادةٌ أنهم يحبونه محبة تديُّنٍ وتذلل وتعبد، ومحبته لهم محبة إحسان وتفضل.

وفيها الرد على الجهمية فإنهم ينفون أن يُحِب أو يُحَب، فأهل التجهم ينفون المحبة من الجانبين، كما أنكروا الخُلَّة، وهذا من ضلالهم وجهلهم، قالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين اثنين بينهما نوع من المناسبة، كمناسبة محبة المخلوقين بعضهم لبعض، ففروا منها إلى النفي. نعم محبة الله لا مناسبة بينها وبين محبة المخلوقين، محبة تليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل، لا يعلم كنهها ولا كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى، فإنه أعلم بنفسه، وقد أعلمنا أنه يُحِب ويُحَب، فنحن نؤمن بالله وبما جاء عن الله على مراد الله.

(قاعدة عظيمة)

كل ما جاء في القرآن أو الحديث الثابت، فخذ معك أصلاً أنه على ما يليق بجلال الله.

---

(١) ٤/ ١٨٨٥ رقم ٤٢٤ موقوفاً على ابن عباس ﷺ.

وقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾، ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾، ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾،

(إثبات صفة الرحمة)

(وقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) في آية البسملة، هي آية من القرآن بين كل سورتين إلا في براءة، وهي أيضاً آية في النمل. هذه الآية فيها هذان الاسمان لله «الرحمن والرحيم» دلّا على اتصافه تعالى بالرحمة، فالرحمن من الفعل المتعدي، والرحيم من اللازم، فالرحمة أحد صفات الباري ـ جل جلاله ـ.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «الرحمن الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر» المقصود السعة، يعني: أسماء مبالغة أن كلاً منهما صفة مبالغة، هذا معنى «رقيقان أحدهما أرق وأوسع من الآخر»، وأوسعهما الرحمن، ولهذا جاء في التفسير رحمن الدنيا والآخرة، فلولا رحمته العامة ما بقي أحد على وجه الأرض، أما الرحيم فهي خاصة بالمؤمنين.

(﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾) فيه إثبات صفة الرحمة، وإثبات سعتها، وإثبات صفة العلم، وإثبات سعته، ففيه شمول رحمته، كما فيه شمول علمه، فما استقام أمر العالم إلا بالرحمة.

(﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾) فيها إثبات صفة الرحمة.

(﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾) فيه إثبات صفة الرحمة أيضاً.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

(﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾).

هذه الآيات فيها إثبات صفة الرحمة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فهي رحمة حقيقية، بل هي أحق الحقيقة، كما أن للمخلوق رحمة حقيقية تختص به.

(الرد على من حرف معنى اسمي «الرحمن الرحيم» عن مدلولهما)

وكثير من شراح الكتب[1] صرفوا معنى هذين الاسمين عن مدلولهما، فمنهم من يقول: إنه المنعم الحقيقي، ومنهم من يقول: الرحمة إرادة الإنعام، ونحو ذلك، وكل هذا من الكلام الباطل، ما حملهم عليه إلا سوء الفهم، ولو فهموا فهماً صحيحاً ما صرفوه عن مدلوله، فإن الذي عليه أهل السنّة والجماعة قاطبة، أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثم يلزمهم في قولهم: الرحمة إرادة الإنعام، إما أن يقولوا: إنها كإرادة المخلوقين، فنقول لهم: شبهتم.

وإما أن يقولوا: إنها إرادة حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، فنقول لهم: فما يمنعكم أن تقولوا في الرحمة: إنها حقيقية تليق بجلال الله وعظمته.

---

(١) ممن لم يأخذ بمعتقد أهل السنّة والجماعة.

وأيضاً فما يقال في الصفات فرع عما يقال في الذات، فيجب أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، ونؤمن بما جاء عن الله على مراد الله على ما يليق بجلال الله وعظمته، ونقول: لله صفات ثابتة حقيقة لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن لله ذاتاً حقيقية ثابتة لا تشبه ذوات المخلوقين، ونعتقد أن الصفات حقائق ولا نقف عندها، بل نستمر كما استمر الكتاب العزيز ونقف حيث وقف.

وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾،

(إثبات صفة الرضا والغضب واللعن بالقول والسخط لله)

(وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾) فيه إثبات صفة الرضا رضاً يليق به، الله أعلم بكنهه وكيفيته.

(وقوله: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾) فيه إثبات صفة الغضب، وإثبات صفة اللعن بالقول، قال المصنف: «لا مانع من أن يقع اللعن من الله قولاً بالكلام» وهو ظاهر النصوص أنه يلعن من يستحق اللعن بالقول، كما أنه تعالى يرضى عمن يستحق الرضا، ويغضب على من يستحق الغضب.

(وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾).

السخط: هو عدم الرضا، والسخط إلى الكراهة أقرب منه إلى الغضب، فإن الغضب يعدى بعلى، والسخط يعدى بها تارة، وبنفسه أخرى.

وبين السخط والغضب فرق واضح: كثيراً ما يقابل السخط بالرضا، والغضب لا يقابل به.

وفيه إثبات الرضا؛ فإن الله يرضى حقيقة كما أنه يسخط حقيقة.

وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

(وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾) آسفونا أغضبونا.

والأسف جاء في القرآن على معنيين: على معنى الغضب كما في هذه الآية، وجاء بمعنى الحزن، وليس هو المراد هنا، وإنما هو من صفات المخلوقين كما في قصة موسى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾.

والأسيف الحزين، مثل قوله: «إن أبا بكر رجل أسيف إذا قرأ القرآن» والله سبحانه منزه عن الحزن.

وفيه إثبات صفة الانتقام.

(إثبات الكراهة والمقت على ما يليق بجلال الله)

(وقوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾) فيه إثبات صفة الكراهة، أن الله يكره من يستحق الكراهة على ما يليق بجلاله وعظمته.

(وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾) فيه إثبات صفة المقت على ما يليق بجلال الله وعظمته، أن الله يمقت من يستحق المقت من الأقوال والأفعال.

وهذه الآيات، فيها إثبات هذه الصفات لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل.

وقـــولـــه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، وقـولـه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

(إثبات صفة الإتيان والمجيء لله يوم القيامة)

(وقـــولـــه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾) فيه إثبات صفة الإتيان يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، إتياناً يليق بجلاله وعظمته، لا نكيف ولا نشبه.

(وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾) كالتي قبلها في صفة إتيان الربّ يوم القيامة حقيقة.

وفيه ما يَردُّ على المحرفين الذين يقولون: يأتي أمره، وأمره معطوف على إتيانه، وأمره لم يزل يأتي في الدنيا والآخرة. فدعواهم فيه مجازَ الحذف، باطلةٌ مخالفةٌ للنصوص وما عليه الجمهور؛ بل يأتي تعالى بذاته على ما يليق بجلاله وكبريائه.

(﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾) فيه إثبات مجيء الله سبحانه على ما يليق بجلاله من غير تمثيل. وتأويل ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ بجاء أمر ربك، فاسد من جهة أنه باطل، وهو من كلام المبتدعة، وأيضاً فاسد من أمر آخر، وهو أن أمر الله لا يزال يجيء ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

(﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾) هـذه الآيـة فـيـهـا

....

إثبات صفة، وهي إتيان الربّ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فإنه كما جاء في تفسيرها أن الأرض بعدما تُمدّ يوم القيامة مدّ الأديم العُكاظيّ، فيحشر من كان في الأرض، ثم بعد ذلك تنشق السماء الدنيا، فينزل من فيها من الملائكة، فتحيط بمن في الأرض كلهم، ثم الثانية، ثم الثالثة.. الخ، ثم ينزل الربّ تعالى للفصل بين عباده ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾.

فصار فيه إثبات صفة الإتيان، لا نعلم كنهها ولا كيفيتها، مجيءٌ حقيقةً على ما يليق بجلال الله وعظمته.

ولنعرف أن ما جاء في الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ أن المراد هو جبريل. وأما ما في الحديث في البخاري[1]، فالمراد الباري جل جلاله، وهو معروف عند أهل التحقيق.

---

(1) ٦/ ٢٧٣٠، رقم ٧٠٧٩ «حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى» من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾،

(إثبات صفة الوجه لله)

(وقوله) سبحانه: (﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة الوجه على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وفيها وصف وجه الباري بالجلال والإكرام.

(﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾) فيه إثبات صفة الوجه على ما يليق بجلال الله وكبريائه وعظمته وتقدست أسماؤه.

وهذه الصفة مما ادعت فيه الجهمية المجاز، واختلفوا في جهة مجازه، وهو باطل.

(إثبات صفة اليدين لله)

(وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾) هذا قوله لإبليس تبكيتاً له، ففيه إثبات صفة اليدين لله سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

وفيه إبطال قول من قال: إن اليد النعمة، فإن الله تعالى ذكر الخَلْق وذكر ما يَخْلُقُ به. وأيضاً القدرة ما جاءت قدرتين أو نعمتين وَقُرِن بالفعل.

فتعين أن تكون اليدين، وأنها على الحقيقة. ومثل «خلق الله آدم بيده»[1] المراد اليد التي بها الفعل.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٩/ ١١٤.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾.

(﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾) فيه إثبات صفة اليدين، الأُولى بالإفراد، والثانية بالتثنيةِ حقيقةً على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وفيه إثبات هذا البسط. والبسط في كلام العرب هو السعة وكثرة العطاء، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ الآية.

وفيه بيان لكمال جوده سبحانه، كما أتى في قصة الخضر وموسى «حين أتى عصفور فأخذ بمنقاره من البحر، فقال الخضر لموسى ﷺ: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقَّص هذا العصفور من هذا البحر»، وكما في الآية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾، وجاء في الحديث «إحداهما يمين، والأخرى شمال، وكلتا يدي ربي يمين»[1].

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة ٣/٢٩٨، رقم ٢٢٧.

وقولـه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾، ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾.

(إثبات صفة العينين لله)

(وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة العينين لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

(﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾) فيه إثبات العينين، وأتت بصيغة الجمع لتناسب ضمير العظمة، والمراد به المثنى. وهذا الجمع في قوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ إنما هو للتعظيم، إذا صار «نا» للتعظيم، فما قبله يجري مجراه، وجاء في الحديث أنه ﷺ وضع أصبعيه على عينيه، كما تقدم[1].

(﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾) «عَيْنِي» مفردٌ مضافٌ جارٍ على ما تقول العرب في كلامهم: «رعيتك بعَيْنِي»، ونحو ذلك، والمراد المثنى.

وكذلك الثلاث فيها تشوُّه، وكذلك الواحدة، فإن في الحديث «إن ربكم ليس بأعور»[2] نؤمن به ونَكِلُ كيفيته.

---

(١) في ص ٤٧.

(٢) رواه البخاري ٦/٢٦٠٨، رقم ٦٧١٢، ومسلم ٤/٢٢٤٨، رقم ٢٩٣٣.

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾،

(إثبات السمع لله)

(وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة السمع من ثلاثة أوجه: الأول: بصيغة الماضي، والثاني: بصيغة المضارع، والثالث: بصيغة اسم الفاعل.

وفيها إثبات صفة البصر من غير تمثيل.

وهذه الآية نزلت في المرأة المجادِلة، التي ظاهر منها زوجها، وكان لها منه عيال، وكانت فقيرة فجاءت تشتكي إلى النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، إنْ كانت لفي البيت تُكلِّم الرسول ويخفى عليّ بعض حديثها، وهي تقول: يا رسول الله أكلَ مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما بَرِحَت حتى نزل جبريل بهذه الآية».

(﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾) فيها إثبات صفة السمع أيضاً.

وأهل السنّة يثبتون السمع والبصر، والحياة والقدرة، والعلم والكلام، وغيرها من الصفات الخبرية، كالوجه واليدين والعينين، والغضب والرضا. والصفات الفعلية كالضحك، والنزول، والاستواء على العرش، وهي صفات كمال، وأضدادها صفات نقص يُنزه عنه

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

الرب، ويعتقدون لها معاني حقيقية، ويفسرونها ويبينونها، خلافاً للجهمية وغيرهم.

(﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾).

أنكر تعالى على من ظن أن الله لا يسمع. يعني: بلى نسمع سرهم ونجواهم، ورسلنا لديهم يكتبون.

(وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة السمع، كما أنه يسمع جميع المسموعات فكذلك يرى جميع المرئيات.

(إثبات ان الله يرى)

(﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾) فيه إثبات أن الله يرى جميع المرئيات والمُبصَرات.

(﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾) هذه الآية كالتي قبلها.

(﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾) فيه إثبات رؤية الله لأعمال العباد.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، وقوله ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

(وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾) أي المماحلة، وهي العقوبة والأخذ لمن عصاه.

(إثبات المكر والكيد لله على ما يليق بجلاله)

(وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾) هذه فيها إثبات هذه الصفة أنه يمكر مكراً حقيقياً على وجه لا نقص فيه، على ما يليق بجلاله من غير تمثيل، بخلاف مكر المخلوق فإن فيه ما هو على وجهه، وفيه ما هو مذموم.

(وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾) فيه إثبات صفة المكر لله بمن مكر به، على ما يليق بجلال الله وعظمته، حقيقةً على وجهٍ جميلٍ حسنٍ يليق به سبحانه، من غير تمثيلٍ بمكر المخلوقين وصفاتهم. فما فيه الذم والعيب فهو منزه عنه تعالى وتقدس.

(وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة الكيد.

ولنعرف أن ما جاء في النصوص من ذلك، أن ما كان منه على وجه مذموم لا يضاف إلى الله، لا يضاف منه إلا الوجه المحمود الممدوح الكمال.

ولنعرف ما ورد بلفظ الفعل:

(قاعدة: الإخبار بالفعل أوسع من الاسم)

فنقول: لا يطلق على الله إلا ما جاء في النص، فلا يلزم من الإخبار عنه بالفعل أن يُشتق منه اسم مطلق، كالمُضلّ والماكر.

وهنا قاعدة ذكرها ابن القيم في «المدارج» وكأنه أخذها من الاستقراء: أن الإخبار بالفعل أوسع من التسمية[1].

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين ٣/ ٤١٥: «الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء وأحدث، ولم يُسمَّ بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسماً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر والمخادع والفاتن والكائد، ونحو ذلك».

وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾،

(وصف الله بالعفو والقدرة)

(وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾) فيه إثبات صفة العفو والقدرة.

والعفوّ: أصله بواوين، لكن أدغمت الواو في الواو، فصار «عَفُوّاً» والعَفْو: هو الترك، ترك صاحب الجريمة عن مجازاته عليها.

والعفوّ: ـ مشدداً ـ الكثيرُ والعظيمُ العفوِ والتجاوزِ عن عباده.

اسمه عَفُوٌّ، وصفته عَفْوٌ ـ بالتخفيف ـ. عفوٌّ يحب العفْوَ، ويحب من عباده أن يعفوَ بعضهم عن بعض عن حقه.

والعَفْوُ أكمل ما يكون وأجمله إذا كان عن قدرة، وإلا فربما يوجد عَفْوٌ ممن يصدر منه العفو مع عدم قدرة، أو ضعف، أو يخاف أن لا يأخذ حقه. أما من عفا لا عن ضعف فهذا هو أكمل، ولذلك جاء مقروناً به القدرة، فإنه أكمل.

(وصف الله بالمغفرة والرحمة والعزة)

(﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾) ففيها إثبات صفة المغفرة والرحمة، ففيها إثبات هذين الاسمين لله تعالى «الغفور والرحيم» فأفادا اتصافه بمدلولهما من الرحمة والمغفرة.

وأفاد أيضاً بصفة الفعل، فكان في الآية دليلان: الأول يغفر، والثاني: غفور.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

والمغفرة: اشتقاقها من الغَفْر وهو الستر، ومنه المِغْفَر على الرأس، فمغفرة الذنوب وِقايةُ شرِّها وسَتْرُها.

والمصنف ـ رحمه الله ـ قرر في هذه المسألة، أنه لا بد من الوقاية والستر، فإن المِغْفَر يستر الرأس ويقيه السلاح.

والقرآن لا يُسَلَّم أن يكون فيه عطف على متساويين، ـ مثل اسم على اسم، أو فعل على فعل ـ، معناهما واحد، وهو نزل بأفصح اللغات، وإلا بعض أناس يظن أن فيها عطفاً مرادِفاً محضاً على مرادِفه بمعانيه الكلية الكاملة، وهذا ذكره شيخ الإسلام في الإيمان الكبير في العطف[1].

(وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾) هذه فيها إثبات صفة العزة، وهي مدلول اسمه تعالى العزيز. العزة: تطلق ويراد بها القوة والغلبة.

(وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾) فيها إثبات صفة العزة، وهي مدلول اسمه العزيز.

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٧٢.

وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾،

(إثبات الأسماء لله ونفي المثيل عنه)

(وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾) تبارك أي: بلغ في البركة النهاية والغاية، والنفع والسعة، والبركة: هي كثرة النفع.

وفي هذه الآية إثبات الأسماء لله سبحانه، والمراد بالاسم: جنس جميع الأسماء، فإنه مفرد مضاف إلى معرفة، فشمل وعمَّ جميع الأسماء، فدل على أن لله سبحانه أسماء، وأنها بلغت في كثرة النفع والخير الغاية.

وفيها إثبات صفة الجلال والإكرام لله سبحانه وتعالى.

(وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾) هذه الآية فيها أنه لا سمي له، استفهام بمعنى النفي العام، أي: لا أحد يستحق لاسمه، ولا مساوي له، ولا مسامي. هذا من النفي العام.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾) الكفو: المساوي، لم يكن له مساوياً أحد، لكماله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته. وهذا من النفي العام مراد منه الكمال، فهو مقصود لغيره، بخلاف الإثبات المفصل فإنه مقصود لذاته وتقدم[1]، وهذه طريقة الكتاب العزيز في النفي - النفي المجمل -، نفي ما لا يليق بالله نفياً مجملاً.

---

(١) في ص ٢٨.

وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

(وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) الند: المِثْل والشبيه، هذا من النفي المجمل، يعني: لا مِثْل له ولا نظير.

(﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾) أنداداً: أشباهاً ونظراء، إنكار على الناس الذين يتخذون الأنداد مع الله، فهذه الآية من النفي المجمل، وكذلك نظائرها كقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ ،

(إثبات الكمال المطلق لله، وتنزيهه عن جميع النقائص والعيوب)

(﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾) هذه الآية يقال لها: آية العز. وجاء في بعض الأخبار أو الآثار، أن البيت الذي تقرأ فيه هذه الآية، يأمن أهله من السراق[1].

هذه الآية فيها إثبات جميع الحمد لله سبحانه، لذاته ولأسمائه وصفاته، وعلى قضائه وقدره. واستحقاقه للحمد سبحانه، يفيد أنه متنزه عن جميع النقائص، إذ يستحيل ثبوت الحمد لمن ليس كذلك.

(﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾) إلى آخر الآية، كل جملة من جملها من النفي المجمل، ففيه نفي الولد لمنافاة ذلك لكمال صمديته وغناه سبحانه، فإنه الغني بذاته عن كل ما سواه.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾) فيه نفي الشريك في المُلْك، لمنافاته لوحدانيته سبحانه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ليس له من خلقه أولياء يتعزز بهم من ذلة، ولا يَتكثَّرُ بهم من قلة، كما يكون للمخلوق ولي يعزه وينصره، فهو الغني عن ذلك كله الوليُّ الناصر، يعني لا يحتاج لأنصار ينصرونه من الذل ـ سبحانه ـ، وإنما اتخذ أولياء من أهل

---

(١) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٣/ ٧١: «وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيتٍ ليلةً فيصيبه سراق أو آفة، والله أعلم».

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

طاعته، لكن لا من الذل، وهو والاهم، بأن هداهم إحساناً منه تعالى، وهم والوه بالذل والخضوع.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ كبّره: عظّمه، تكبيراً: تعظيماً. وهذا يفيد أنه الكبير الذي لا أكبر منه تعالى، وفيه وصفه بالكبرياء والعظمة، فهو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء. وفيه آكدية تعظيمه وإجلاله.

(﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) التسبيح: التقديس والتنزيه. جميع من في السموات والأرض يسبح، منها ما هو تسبيحه بلسان الحال، ومنها ما هو بلسان المقال كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ﴾ فجميع الكائنات ناطقة بتسبيحه وتمجيده.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

متصف بصفات الكمال، متنزه عن جميع النقائص والعيوب.

(﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾) هذا فيه إثبات الملك المطلق لله سبحانه من جميع الوجوه، وفيه إثبات صفات الكمال، إذ يستحيل ثبوت الملك لمن ليس كذلك.

(﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾) هذا فيه إثبات الحمد لله.

(﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) هذا فيه إثبات القدرة لله سبحانه

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

على جميع المخلوقات ـ الموجودات والمعدومات والممكنات أن توجد ـ فهي مشمولة بقدرته. وقول بعض العلماء كما يذكره ابن كثير: «إنه على ما يشاء قدير» ذهول منه.

وبعض المبتدعة ينكر قدرته إلا على ما يشاء، وأما ما لا يشاء فلا، وقد رد المصنف وبيَّن بطلان ما ادعوه بالبراهين الواضحة القاطعة كهذه الآية ونظائرها، من أنه سبحانه على كل شيء قدير، مما يريده ومما لا يريده.

والقدرة والعلم من أشمل صفاته سبحانه وتعالى، فما من شيء إلا وهو مشمول بالعلم، وهو أشمل من القدرة، فالعلم يشمل العلم بالذات وبالأسماء والصفات وبالمخلوقات، فهو أعلم بنفسه وبغيره، والقدرة تشمل جميع المخلوقات، ولا تشمل الذات والأسماء والصفات ، لأنها لا تقبل تصريفاً ولا تبديلاً، وهذا مستثنى بالعقل.

(وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾).

تبارك: تعاظم، بلغ في البركة نهايتها وغايتها. والبركة: كثرة النفع وكثرة الخير، يعني بلغ فيها النهاية.

وهذه الصيغة تفاعل جاءت في القرآن مطَّرِدة في حق الله تعالى

....

خاصة، فلا يجوز إطلاقها على المخلوق، فلا يقال: تباركت علينا ونحو ذلك، فإن الله هو المتبارِك والعبد هو المبارَك.

(﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾) هذا أحد أسماء القرآن، وسمي فرقاناً لفرقه بين الحق والباطل.

(﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾) يعني: محمداً ﷺ، هذه هي العبودية الخاصة، وذلك أن أشرف حالات العبد، ما يكون فيه طاعة خالقه وموجده، فإن شرف المخلوق بطاعة خالقه.

(﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ﴾) للخلق، وهم الثقلان.

(﴿نَذِيرًا﴾) للذين فيهم أهلية للنذارة وأهلية للتكليف.

(﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) هذا فيه تفرده بملك السموات والأرض، فيفيد اتصافه بصفات الكمال، وتنزهه عن جميع النقائص والعيوب.

(﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾) نفي الولد لمنافاته صمديته تعالى.

(﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾) نفي الشريك لمنافاته لوحدانية الباري ـ جل جلاله ـ.

(﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾) فيه تفرده بخلق كل شيء.

(﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾) هيئه تهيئة، كل شيء على ما يناسبه ويشاكله، فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ربِّ وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فأفادت هذه الآية الإيمان بالقدر.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾،

(﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) هذا فيه نفي الولد عن الله، ونفي الإله مع الله. نفي الولد عن الله لمنافاة الولد لصمديته. و«ولد» نكرة في سياق النفي، وقد دخلت عليها «مِنْ» فصار من أبلغ النفي.

(﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾) لجميع المخلوقات (﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾) لو قُدِّر ـ تعالى الله وتقدس ـ أن مع الله إلهاً ثانياً لهذا الوجود ويستحق أن يعبد، للزم أن يذهب كل إله بما خلق، لا تَتَّحِدُ ولا تتفق إرادتهما، ولو اتفقت وقتاً مَّا، ما اتفقت إلى الأبد، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾.

(﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾) وللزم من ذلك أن يعلو بعضهم على بعض، فلما كان الوجود خالياً من هذا، تبين أن الله هو المستحق أن يفرد بالعبادة.

وهذه الآية سيقت لتقرير توحيد الألوهية والعبادة، وأن الله هو المستحق أن يعبد وحده دون كل من سواه، كما قرره الشيخ تقي الدين وتلميذه ابن القيم.

وزعم طائفة من المتكلمين، أنها سيقت لنفي التمانع.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والصحيح: أن دليل التمانع عقلي، وأن الآية لم يقصد بها ذلك، وإنما كان المقصود بها إفراد الله بالعبادة، وإن كان يلزم من ذلك ويقتضي صحة التمانع من ضمنها، (﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾).

(﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾) هذا فيه منع ضرب الأمثال لله سبحانه وتعالى، فيفيد أنه تعالى لا مِثْل له، إذ لو كان له مِثْل - تعالى الله وتقدس عن ذلك علواً كبيراً - لما نهى عن ضرب الأمثال له، فلما نهى عن ضرب الأمثال له، عُلم أنه سبحانه لا مثل له، وهذا من أعظم ضروريات العقل، أنه لا يماثله شيء من خلقه تعالى.

وقوله: (﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) هذه الآية الكريمة جمعت أصول المحرمات متنقلاً فيها من الأدنى إلى الأعلى. فأدنى المحرمات ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، ثم ﴿الإِثْمَ﴾ وهو أعظم من الفواحش، ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو أعظم من الإثم، ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ وهو أعظم من البغي بغير الحق، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هذا أعظم من الشرك، وإنما كان أعظم لأنه يستلزم الشرك وزيادة.

(أعظم المحرمات وأقسامه)

فأعظم المحرمات: القول على الله بلا علم، وإذا عرفت أنه

أعظم هذه المحرمات، فالقول على الله بلا علم أقسام:

القول على الله بلا علم في أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه، وتحليله وتحريمه.

والقول عليه بلا علم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالقول على الله بلا علم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، أعظم من القول عليه بلا علم في أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه، وتحليله وتحريمه، وأعلى مرتبة في التحريم، وإن كان في الثاني ما يرجع إلى تنقصه في أسمائه وصفاته، ومعلوم أن من أثبت لله صفة، أو اسماً ما أثبته لنفسه، أو نفى عنه ما اتصف به، فهو قائل عليه بلا علم، وهو مخالف للكتاب والسنّة والشرع والقدر، كاذب ضال عن الصراط المستقيم، فإن قُوى العباد لا تقدر أن تصل إلى شيء من ذلك بعقولها ولا بأفهامها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالكتاب والسنّة، والسالم الناجي يوم القيامة، هو الناطق بما نطق به الكتاب والسنّة والواقف حيث وقفا. فنؤمن بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله، نؤمن باللفظ والمعنى جميعاً، ونعتقده حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

(أهل السنّة والجماعة يؤمنون باللفظ والمعنى جميعاً)

وبهذا تعرف أن طائفتي الضلال والانحراف من نفاة الصفات، هم أعظم القائلين على الله بلا علم، سواء بجحد أو تعطيل، أو تكييف أو تمثيل.

وإنما سلم من القول على الله بلا علم، من اتبع النبي الكريم، وأصحابه والتابعين، المقتفين لهديه الكريم.

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ في سبعة مواضع،

(إثبات استواء الله على عرشه استواء يليق بجلاله لا كاستواء المخلوقين)

(وقوله) تعالى: (﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ في سبعة مواضع) كل واحد فيه التصريح باستواء الله على العرش، وهو من أدلة علو الربّ وفوقيته، وفسر السلف ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بأربعة أشياء: بعلا، وبارتفع، وباستقر، وصعد، ولم يجيء في الكتاب والسنّة أنه استوى على مخلوق آخر، أو على المخلوقات جميعها، بل ما جاء إلا خاصاً بالعرش فدل على إثبات الاستواء على العرش لا كاستواء المخلوقين. وكُنْه ذلك وكيفيته إلى الله، قال مالك ـ رحمه الله ـ لما أتاه رجل فسأله، فقال: استوى! كيف استوى؟ فسكت مالك ـ رحمه الله ـ حتى علته الرُّحَضَاء ـ العرق ـ فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بإخراجه عنه، وقال: أراك رجل سوء ـ يعني مبتدع ـ أخرجوه عني» وهذا مثله لشيخه ربيعة، وروي عن أم سلمة ﵂ موقوفاً عليها، وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ والموقوف أصح. وهذا له بالحرف والمعنى، وهو لجميع أئمة أهل السنّة السلف والخلف بالمعنى، كالإمام أحمد، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه.

(معنى الاستواء معلوم والكيف مجهول)

وقوله: «معلومٌ» أي لفظه ومعناه من كلام العرب الذي نزل القرآن بلغتهم، وليس المراد بمعرفة لفظه ومعناه، أن هذه الأحرف مجتمعةً، معلومةُ الاجتماع وأن تركيبها كذا.

«والكيف مجهول» علمه وحقيقته موكولة إلى الله لا يعلمه الخلق، ولا يصلون إليه لا شرعاً ولا قدراً، بل لا يليق أن تصل قوى البشر أن يحيط المخلوق بكنه الخالق؛ بل هو سبحانه يُعلم ولا

يُحاط به علماً، نعلمه بما أعلمنا، وأما إدراكه على ما هو عليه فلا، بل ممنوع التفكر في ذلك وعبث، فَمَنْعُ «كيف» في صفات الله كمنع «لِمَ» في أفعال الله، مُنع «كيف» بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومُنع «لِمَ» بقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

(قاعدة في جميع الصفات)

ونعرف هذا في الذات ونعرفه في الصفات. ونقول: معنى الرضا والغضب والمحبة ونحو ذلك معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فإذا عرفت أنه جاء استواؤه تعالى على العرش مطرداً في النصوص في القرآن والسنة، ولم يجيء استواؤه على غير العرش ولا في موضع واحد، وتفطّنت لذلك وتنبّهت له، عرفت صحة قول أهل السنة والجماعة في ذلك. هذا دليل واضح لأهل السنة والجماعة، في أنه استوى على العرش حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

(الرد على من حرف الاستواء بالاستيلاء)

وقد حرفت الجهمية وألحدت وقالوا: استولى على العرش، وزعموا أن هذه النصوص لا تدل إلا على الاستيلاء، فزادوا (لاماً) كما زادت اليهود نوناً[1].

ويقال لهؤلاء المبتدعة: الاستيلاء مشترك بين المخلوق والخالق، ثم أيضاً الاستيلاء لا يكون إلا لمن كان مغلوباً ثم غَلب، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى، فإنه ليس مغلوباً ـ تعالى على

(١) لما قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ جعلوا يزحفون على استاهم وهم يقولون: حنطة في شعيرة.

عرشه ـ حتى يقهر من غلبه ويستولي عليه، وإنما يقال هذا في حق المخلوق المغلوب على الشيء.

ثم يقال لهؤلاء المبتدعة: أتثبتون استيلاءاً من جنس استيلاء المخلوقين؟

فإن قالوا: نعم، قيل لهم: شبهتم، وهم لا يقولون ذلك.

وإن قالوا: لا كاستيلاء المخلوقين، فيقال لهم: لم لا تقولون استواء يليق بجلال الله وعظمته، وتلجئون إلى ما أتى به الكتاب والسنّة وتَسْلمون من التشبيه؟!

(حجة دامغة على منكري الصفات)

وهذا خذْهُ معك في جميع الصفات، كالإرادة، فإنه ما من محذور يظنه المبتدع، إلا ويقع في مثله ونظيره، أو شر مما فر منه وأشد، ولو قصد التنزيه.

وهذه الآيات السبع على قسمين:

(فائدة بديعة)

منها: ما فاعلُ الاستواء فيها ضمير مستتر «هو» يعود على الله سبحانه، يعني ربكم.

ومنها: ما هو اسمٌ مُظْهَر مرفوع، وهو في آية الفرقان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ: أن العرش أوسع المخلوقات، ورحمته وسعت كل شيء، فاستوى بأوسع صفاته على أوسع مخلوقاته.

في سورة الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في سورة يونس عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾،

(الفرق بين الاستواء والعلو: الاستواء أمر زائد على مطلق العلو، وهو أخص منه ودل عليه السمع فقط)

(في سورة الأعراف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) وتعرف أن الإتيان بثُمَّ على بابها، وقد حاول بعض المبتدعة أن لا يجعلها على بابها، فالاستواء أمر زائد على مطلق العلو، ومطلق العلو دل عليه السمع والعقل. والاستواء دل عليه السمع فقط، وهو صفة فعل زائد على مطلق العلو؛ فإن العلو أقسام ثلاثة: علو الذات على جميع المخلوقات وهو صفة فعل كما تقدم. والثاني: علو القدر والشرف. والثالث: علو السلطان والقهر والغلبة. وله سبحانه العلو بجميع الوجوه.

(وقال في سورة يونس عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾).

(وقال في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾).

(وقال في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾).

وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وقال في سورة آلم السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

(**وقال في سورة الفرقان**: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾) ثم السر في اختصاص العرش بالاستواء، وذكر فاعل الاستواء باسم الرحمن، لأمرين: سعة الرحمة، وسعة العرش.

(**وقال في سورة آلم السجدة**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾).

(**وقال في سورة الحديد**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾).

والاستواء على العرش، نوع من أنواع العلو وهو أخص منه.

(طرق إثبات العلو)

وطرق إثبات العلو واحد وعشرون طريقاً، ذكرها ابن القيم في النونية.

أحدها: العقل الصريح.

والثاني: نصوص الاستواء على العرش، ويشير المؤلف إلى بعضها قريباً.

وكل دليل من أدلة العلو تحته أفرادُ أدلةٍ، منها ما يبلغ مائة من الكتاب والسنة، وأقلها يبلغ إلى خمسة أدلة أو ستة، فجميعها يبلغ

....

ألف دليل، وكلها نصوص تدل على أنه فوق مخلوقاته على عرشه، من غير تكييف ولا تمثيل، كما قال ابن المبارك ـ رحمه الله ـ لما سئل بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه».

وكل دليل يصلح للاستواء، فهو دال على العلو، ولا عكس.

وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾.

(إثبات علو الله وفوقيته على مخلوقاته)

(وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾) هذا من جملة نصوص العلو، إثبات علو الربّ وفوقيته، الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى فوق، - من الأدنى إلى الأعلى -. و﴿إِلَيَّ﴾ للانتهاء.

(﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾) كذلك هذه الآية مثلها.

(﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾) هذه دالة على علو الربّ وفوقيته من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ﴾، والصعود لا يكون إلا من الأسفل إلى الفوق.

والثاني: قوله: ﴿يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ فمن قال كلاماً طيباً، وشفعه العمل الصالح، فإنه يرفعه العمل الصالح إلى الله، فدل على أن الله في العلو.

فهذه ثلاث نصوص من أحد وعشرين.

وقوله: (﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾).

﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾ وزيره ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ الصرح: هو البناء المرتفع ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ﴾ وأصل ﴿ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾: الطرق ﴿أَسۡبَٰبَ﴾: طرق

وقــولــه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾ فأشرف وأنظر ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ هذا من حماقة فرعون وجهالته، ينكر ما جاء به موسى جُمْلةً، وينكر ربه، وينكر علوه، وهذا كذب منه وتلبيس به على رعاياه من غير إتيان ببرهان، فهو إمام الجهمية والمعتزلة وفروعهم، كما أن إمام أهل السنّة سيد المرسلين.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ كذّب موسى وهو الكاذب الجبّار الجاحد الكافر، وموسى عليه السلام هو البارّ الصادق، وإنما قال ذلك؛ لأن موسى أخبره أن معبوده فوق السموات، فقال ذلك مكذِّباً لما قاله موسى، فإن فرعون معطل جاحد، ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وهذا يفيد أن موسى عليه السلام بيَّن أن معبوده فوق السموات.

فعرفت أن إثبات العلو هو مسلك المرسلين وأَتباعهم الصالحين، وجحده مذهب فرعون اللعين وأتباعه الجهميين الضالين، لأنه يرجع إلى لا شيء.

(وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾).

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع لمن أمن ذلك أن يعاقب على كفره، ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

....

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

هاتان الآيتان فيهما إثبات علو الربّ وفوقيته، فإن ﴿فِي﴾ في الآيتين إما أن تكون بمعنى «على» كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: على جذوع النخل، وكقوله: ﴿فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: عليها، فالمعنى أأمنتم من على السماء.

وإن كانت على بابها وهي الظرفية، فيكون المراد بالسماء العلو، فالله في العلو المطلق، وقد سئل ابن المبارك بماذا نعرف ربنا؟ فقال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه».

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

(إثبات معية الله لخلقه)

قد تقدمت نصوص الاستواء، وكذلك نصوص العلم، ومقصوده بسياق هذه الآيات إثبات صفة المعية، وأن الله مع خلقه معية حقيقية تليق بجلال الله وعظمته.

والمعية: عامة، ومقتضاها: العلم والقدرة، والإحاطة والاطلاع.

وخاصة، ومقتضاها: مقتضى المعية العامة والحفظ والتأييد، والكلاءة والنصر. فهي تقتضي ما تقتضيه العامة وزيادة.

(وقوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة المعية العامة، أن الله مع خلقه حيث ما كانوا على المعنى الذي يليق بجلاله.

(﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾،

عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾) هذه كالتي قبلها في إثبات صفة المعية العامة، وفيها إثبات صفة العلم، وابتدأ به واختتمت به، وسيقت لمقتضاها وهو العلم.

والدليل على أن هذا مقتضاها: كونها مبدوءة بالعلم ومختتمة به، كما أن من مقتضاها القدرة والاطلاع ونحو ذلك.

وتطلق في حقه تعالى ولا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً أبداً، وليس معيته تعالى مع خلقه كمعية الخلق بعضهم مع بعض، واختلاط بعضهم ببعض، ـ تعالى الله وتقدس عن أن يشابهه شيء من خلقه ـ، فكما نقول: إن لله صفاتاً تليق بجلاله وعظمته مختصة به، لا يَشْرَكُه فيها أحد، ولا يشاكله فيها أحد، فكذلك نقول في المعية.

(لماذا فسر السلف المعية ببعض مقتضياتها؟)

والذي حمل بعض السلف على تفسيرها ببعض مقتضاها:

أولاً: أنهم ابتلوا بمن ينفي العلو ويقول: إنه ممتزج بالخلق، ففسروها بالعلم، رداً على الحلولية من الجهمية الذين زعموا أنه في كل مكان، وأنكروا علوه على خلقه واستواءه على عرشه. فهذا الذي من أجله قالوا بعلمه، وإلا فمعنى المعية عندهم واضح كالشمس.

ثانياً: أن التفسير بالمقتضى سائغ، ووجه من أوجه التفسير.

وأهل وحدة الوجود الذين يقولون: إن الوجود واحد ليس فيه خالق متميز عن مخلوق، هم وأهل الاتحاد شيء واحد، وهم أعظم من أهل الحلول. أهل الحلول يقولون: هنا إله، لكنه حل في

وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

المخلوقات ـ والعياذ بالله ـ. ويأتي فصل في بيان الجمع بين العلو والمعية[1].

(المعية الخاصة)

(وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾) هذه الآية فيها إثبات المعية الخاصة، ومقتضاها الحفظ والكلاءة، يعني: ولا يترك الأعداء يتولونا، بل يتولانا ويكلؤنا، فمقتضاها مقتضى العامة وتزيد على ذلك بما سيقت له وخص بها، وهي النصر والكلاءة، والحفظ والتأييد، ونحو ذلك كما تقدم.

وقوله: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾) يعني: موسى وهارون، وهذا من المعية الخاصة أيضاً.

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾) هذه مثل ما تقدم فيها إثبات المعية الخاصة أيضاً.

(﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هذا فيه إثبات المعية الخاصة أيضاً.

(﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هذا مثل ما تقدم، فيه إثبات المعية الخاصة أيضاً،

---

(١) في ص ١٣١.

معية تليق بجلال الله وعظمته؛ كونه مع أهل القيام بما أمر به من الصبر والطاعة، وغير ذلك بحسب مواطنها، فإنها في الآيات كما بَيَّنَ لك. وتقدم بيان مقتضاها.

فالمعية في النصوص معيتان:

عامة: كما في آية الحديد والمجادلة.

وخاصة: كما في هذه الآيات ونظائرها.

(المعيتان لا تقتضي امتزاجاً ولا اختلاطاً والفرق بينها وبين القرب)

وكلا المعيتين لا تقتضي الامتزاج والاختلاط، فهو تعالى على العرش حقيقة، ومع خلقه حقيقة.

أما القرب فلم يرد إلا خاصاً، وهو قربه من عابديه وسائليه فقط، كما ورد في النصوص.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾،

(إثبات صفة الكلام لله)

(وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾) فيه إثبات صفة الكلام وأن الله متكلم حقيقة، وفيه تسميته بالحديث وهو مثل القول.

(﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾) فيه إثبات صفة الكلام وتسميته «قِيلاً» وأن لله «قِيلاً».

(﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) فيه إثبات أن الله قال، فأسند القول إلى فاعله، وهو من صدر منه القول، فإنه قال ويقول.

(﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾) فيه إثبات صفة الكلام. الكلمة في لغة العرب لا تطلق إلا على الجملة المفيدة.

(﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾) فيه إثبات صفة الكلام، ﴿تَكْلِيمًا﴾ مصدر مؤكد لعامله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ وهو يرجع إلى التأكيد اللفظي، لرفع توهم غير إرادة الحقيقي.

والأصل في الكلام هو الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا لموجب، وأن الله تعالى كلَّم موسى كلاماً حصل من الله تعالى وسَمِعه موسى، فدلَّ على أن الله كلم موسى حقيقة، وأنه سمع كلام الله حقيقة.

وقد حاول بعض الجهلة المبطلين المنكرين لكلام الله، أن تكون القراءة بالنصب، يريد أن يكون موسى هو الذي كلم الله، وأن

﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾،

يكون الله غير مكلِّم، وقاله لأَحَدِ أهل السنّة فقال له: ما تصنع بقوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ لأن قواعد العربية تأبى ذلك، فبهت الجاهل، فهو ظاهر في أن الله هو المتكلِّم وأن موسى هو المكلَّم، فهذه الآية لا يتمكن الجهمي من تحريفها.

(﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾) فيه إثبات صفة الكلام أيضاً.

(﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾) فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته.

(﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾) هذه الآية فيها إثبات صفة الكلام من وجهين:

الأول: قوله ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾، والنداء نوع من أنواع الكلام وهو مِنْ بُعْدٍ.

والثاني: قوله: ﴿نَجِيًّا﴾ وهو نوع من الكلام، وهو يكون مِنْ قُرْبٍ، وكلٌّ جاء في القرآن، جاء الكلام مطلقاً وجاء النداء والنجاء.

(﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) فيه إثبات صفة الكلام.

(﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾) فيه إثبات صفة الكلام.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

(﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾)، وكذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل.

(مذهب أهل السنّة في كلام الله)

ومذهب أهل السنّة والجماعة أن الله موصوف بالكلام، وأنه متعلق بمشيئته وقدرته، لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، فكما أنه تعالى لا يشبهه شيء من مخلوقاته في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، فكذلك في كلامه.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾،

(القرآن كلام الله)

(﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾) المراد به القرآن، فيه إثبات صفة الكلام. وفيه إضافة الكلام إلى الله، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدأ، لا إلى من قال وبلّغ مؤدياً. الإضافة إنما تكون لمن صدر منه الكلام، وجاء ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وإضافته إلى الرسول إضافة تبليغ.

(﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) فيه إثبات صفة الكلام كالتي قبلها، فدل على أنه كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه، بدليل ما في هذه الآية أنهم يحرفون اللفظ والمعنى.

(﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾) فيه إثبات صفة الكلام، وفيه إضافته إلى الله، فدل على أن القرآن العزيز كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

هذه آيات ثلاث فيها إضافته إلى الله، والقرآن نزل بلغة العرب، إذا أضيف الكلام إلى أحد فإنه يدل على أنه أول من قاله.

(﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾)

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

فيه إثبات صفة الكلام، وفيه أن القرآن متلو، وأنه كلمات.

(﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾) فيه إثبات صفة الكلام.

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن الموجود أنه كلام الله حروفه ومعانيه، إذ الإشارة إلى الجميع، والقرآن هو ما بين الدفتين، المنزل على رسول الله ﷺ، المحفوظ في صدور المسلمين، الذي يتلوه من حفظه من المسلمين، المسموع بالآذان، فالإشارة إلى مراتبه كلها موجود محفوظ متلو مسموع، فالقرآن له أربع نسب: متلو، ومسموع، ومكتوب، ومحفوظ، وكل واحدة من هذه النسب لا تخرجه عن أن يكون كلام الله حروفه ومعانيه.

(مراتب القرآن)

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

(القرآن منزل غير مخلوق)

(﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾) كذلك، هذه إشارة إلى القرآن حروفه ومعانيه، وفيه أن القرآن منزل غير مخلوق. وفيه الدلالة على علو الله وفوقيته.

(﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾) الإشارة إليه بجميع مراتبه كلها، وإلى حروفه ومعانيه.

(﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾) الآيات. دال على أنه منزل. وجاء في القرآن تسميته سوراً كما في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ الآية. وجاء في هذه الآية وغيرها أنه آيات وكلمات وحروف، كما في قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات» الحديث[1]، فدل على أن القرآن كلام الله: السور والآيات والكلمات، والحروف والمعاني.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٧/٣٠٧ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعربوا القرآن، فإنه من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات».

وقولـه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾،

(إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة)

(وقوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾).

﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد من النضارة وهي الحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر وهو المعاينة، يراه المؤمنون في الجنة ولا يحيطون به رؤيةً لعظمته وجلاله، كما أنه يعلم ولا يحاط به علماً، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ معناه لا تحيط به، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، ففيه إثبات صفة النظر إلى الله تعالى عياناً بالأبصار، وهو أعظم لذة في الجنة.

(﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾) الأرائك: جمع أريكة، يعني في مجالسهم ينظرون إلى ربهم ـ من النظر وهو المعاينة ـ فلا نعيم ينظر إليه، ولا سماع ألذّ من سماع كلامه ونظره تعالى، كما جاء في الحديث «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك»[1]، كما أنهم كانت أعظم لذتهم في الدنيا سماع كلامه، وكما رأته عين بصائرهم في الدنيا حتى كأنهم يرونه على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل، والكفار ما رأته عين بصائرهم في الدنيا، فكذلك في الآخرة لا تراه أعين أبصارهم، فأهل الشقاء في جحيم الدنيا قبل جحيم الآخرة، وأهل الإيمان في جنة في الدنيا وفي الآخرة.

(﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾) الزيادة: هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى ١/ ٣٨٧، رقم ١٢٢٨، وابن حبان ٥/ ٣٠٥، رقم ١٩٧١.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

(﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾) والمزيد: هو النظر إلى وجه الله تعالى، ومن قال إن الزيادة على حسب الأعمال فلا منافاة بينهما؛ لأن أعلى المزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى.

ففي هذه النصوص الأربعة إثبات الرؤية. فدل على أن المؤمنين يرونه في الجنة، ويرونه في عرصات القيامة كما يشاء الله.

وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق.

(الآيات المشتملة على الصفات في القرآن كثيرة)

(وهذا الباب) باب الآيات المشتملة على الصفات **(في كتاب الله)** القرآن **(كثير، من تدبر القرآن طالباً للهدى منه، تبين له طريق الحق)**، ولا أراد أن هذا الذي سيق وأُثبت لإثبات الصفات هو الذي في القرآن كله، بل في القرآن آيات كثيرة غير محصورة هنا، ساق المصنف منها طرفاً صالحاً، وهو كثير بالنسبة إلى هذه العقيدة المختصرة.

(لماذا أكثر المصنف من إيراد آيات الصفات؟)

ومع أن هذه وجيزة مختصرة، فقد أتى بنوع كثير منها، وله غرض في الإكثار من الآيات:

أولاً: أنه يصير من محفوظاته[1] غير حفظه للقرآن.

ثانياً: أهل البدع أثقل شيء عليهم سماع نصوص الصفات[2].

---

(١) أي طالب العلم.

(٢) (عبارة أخرى) بل المصنف كرر وأكثر في هذه العقيدة بالنسبة إليها، وإلا فالنص الواحد كاف، لكن لأجل كونه صواعق على الجهمية حتى تعرف الحق، ثم هذه النصوص ساقها المصنف من القرآن على إثبات الصفات وبالآيات الكثيرة، لتكون صواعق عليهم.

فصلٌ في سنَّة رسول الله ﷺ

فالسنَّة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنه، وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح

(فصـلٌ)

(في سنة رسول الله ﷺ) يعني فيما ورد من نصوص الصفات من الأحاديث النبوية، فإن النبي ﷺ أوتي الكتاب والحكمة، والمراد بها السنّة كما جاء في الحديث: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[1] يعني السنّة، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

(نصوص الصفات من السنّة)

لما ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ القسم الكبير، والمقدار الكثير من نصوص الكتاب العزيز المثبتة لصفات الله تعالى، ذكر من السنّة المطهرة مقداراً كثيراً وقسماً كبيراً، ليكون قد جمع في صفات الله سبحانه وتعالى بين ما أثبته الكتاب والسنّة، وإن كان أحدهما يكفي لكن بهما أبلغ.

(فالسنّة تفسر القرآن) ولا تخالفه أبداً، **(وتبينه)**: إيضاح له، **(وتدل عليه)**: دلالة عليه **(وتعبر عنه)**.

(وما وصف الرسول به ربه ـ عزّ وجلّ ـ من الأحاديث الصحاح

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٣٠.

التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك.

التي تلقاها أهل المعرفة) والإيمان (**بالقبول وجب الإيمان بها كذلك)**، كما وجب الإيمان بالقرآن وهما الوحيان، وغلَّظ ﷺ فيمن اكتفى بالقرآن والدلالة به ويترك السنّة، فقال ﷺ: «وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»[1].

(١) رواه الترمذي ٣٨/٥، رقم ٢٦٦٤.

مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» متفق عليه.

(إثبات نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة على ما يليق بجلاله)

(مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» متفق عليه) هذا حديث صحيح شهير، قال ابن عبد البر ما معناه: «إنه حديث شهير تلقته الأمة بالقبول»[1].

هذا الحديث فيه وجوب الإيمان بجمل من الصفات:

ففيه إثبات صفة نزول ربنا كل ثلث الليل الآخر على ما يليق بجلال الله وعظمته، نزول حقيقي لا يعلم كنه ولا كيفية نزوله إلا هو، وكذلك سائر صفاته.

فإذا قال لنا المبطل الجاحد النافي: كيف ينزل ربنا؟

قلنا: كيف هو؟ فإن القول في الصفات كالقول في الذات، يُحتذى حذوه ويقاس عليه، فكما أن إثباتَ الذات إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو تعالى، فإثبات النزول إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ لا يعلم كنهه إلا هو تعالى.

---

(١) التمهيد ١٢٨/٧ ونصه: «وهذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة، من أخبار العدول عن النبي ﷺ».

....

(هل يخلو منه العرش أو لا؟ السكوت عنه أولى)

ثم كونه يخلو منه العرش أو لا؟ في الحقيقة السكوت عنه أولى.

وفيه إثبات صفة الكلام، وصفة السمع من جهتين:

الأولى: قوله: «من يدعوني»؛ لأن دعاء من لا يسمع عبث.

والثانية: قوله: «فأستجيب له»، ومن لا يسمع كيف يجيب السائل له؟!

وصفة المغفرة. وفيه إثبات كمال جوده وفضله.

وفيه إثبات قربه تعالى لسائليه كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية.

وفيه الحث والتحريض على التعرض لنفحات مغفرة الربّ آخر الليل، فلا يفوت هذا الخير الكثير والفضل العظيم.

وهذه الثلاثة بعضها أخص من بعض فقوله: «من يدعوني» شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة.

«من يسألني» هذا أخص من الذي قبله، وهذا السؤال يعني: أي سؤال ديني أو دنيوي.

والثالث قوله: «من يستغفرني فأغفر له». وهذا أخص من الذي قبله.

وقوله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته» الحديث متفق عليه.

وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه.

(إثبات صفة الفرح لله)

(وقوله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته» الحديث متفق عليه)[1] فيه إثبات صفة الفرح، بل إثبات شدة فرح الله بتوبة العبد ورجوعه إلى ربه، والباعث عليه ليس إلا مجرد إحسان ومحبته للطاعة. فصار فيه الحث على الرجوع عن معاصي الله وتوبة العبد إلى ربه. فالربّ تعالى هو الذي وفقه للتوبة، وحرك قلبه لها، ويسّر له أسبابها وهداه إليها، ثم مع هذا كان شديد الفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من المعاصي، مِنْ أحدكم إذا ضلت راحلته ثم وجدها، فَفَرحُ هذا بدابته من المعلوم أنه أعظم من فَرَح كل فَرِحِ، وفرح رب العالمين أعظم من فرح هذا براحلته، فرح يليق به لا كفَرِح العباد.

(إثبات صفة الضحك لله)

(وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه). هذا الحديث فيه إثبات صفة

---

(١) رواه البخاري ٥/٢٣٢٥، رقم ٥٩٥٠، ومسلم ٤/٢١٠٤، رقم ٢٧٤٧ عن أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

الضحك، أن الله يضحك حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كما أنه يفرح حقيقة تليق بجلاله وتختص به، ومثله حديث: «ضحك الله الليلة من فعالكما»[1].

وتقدم قول أهل السنّة في الصفات، أنهم يثبتونها لله تعالى من غير تمثيل، كما أنهم ينفون عن الله ما لا يليق بجلاله وعظمته من غير تعطيل.

وأما معناه: فإن الكافر يقتل المؤمن، ثم يمنّ الله على الكافر فيسلم، فيكون هو وقتيله يدخلان الجنة.

(١) رواه البخاري ٣/ ١٣٨٢ رقم ٣٥٨٧ في قصة إكرام الأنصاري لضيفه.

وقوله: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، ينظر إليكم أَزْلِين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب» حديث حسن.

(إثبات صفة العَجَب لله)

(وقوله: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، ينظر إليكم أَزْلِين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب» حديث حسن).

«قنوط عباده» القنوط: شدة اليأس، وهو استبعادهم ويأسهم من حصول المطر.

«وقرب غِيَرِه» أي: قرب تغييره للحال التي أنتم عليها إلى الحال التي أحسن منها، تغيير حال السوء إلى حال الخصب والفرح.

هذا الحديث فيه إثبات عدة صفات من صفات الله تعالى:

إحداها: العَجَب، وأن الله يَعْجَب عجباً يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل.

«ينظر إليكم» فيه إثبات صفة النظر.

«أَزْلِين» الأَزْلُ شدة الضعف. والحال ـ والله أعلم ـ يعني: شديدين الحال.

«قنطين» يعني آيسين من الغيث.

«فيظل يضحك» فيه إثبات صفة الضحك.

«يعلم أن فرجكم قريب» فيه إثبات صفة العلم.

وقوله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله ـ وفي رواية ـ «عليها قدمه» فينزوي بعضها إِلى بعض، فتقول: قط قط» متفق عليه.

(إثبات صفة الرجل والقدم لله)

(وقوله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله ـ وفي رواية ـ «عليها قدمه» فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط» متفق عليه).

«لا تزال جهنم يلقى فيها» يعني: دوام اتصافها بذلك.

«وهي تقول: هلْ من مزيد؟» تطلب وتسأل الزيادة، باقية ما امتلئت تطلب.

«حتى يضع رب العزة فيها رجله ـ وفي رواية ـ عليها قدمه» هذا الحديث فيه إثبات صفة الرّجل، وصفة القدم لله، تبارك وتعالى من غير تكييف ولا تمثيل ولا توهم. يجب علينا أن نعلمه ونعتقده ونجزم به، كما أتى عن رسوله ﷺ.

(قاعدة في الصفات)

ولا يمكننا أن نحيط بخالقنا تبارك وتعالى علماً، بل الخلق يعلمون خالقهم بما أوحاه إليهم على ألسن رسله، ولا يعلمون ما هو عليه. ومعرفة ما هو عليه من أمنع الممتنعات، بل هم ممنوعون أن يخوضوا في صفات الله تعالى، مأمورون بالتفكر في آياته، ممنوعون عن التفكر في كيفية صفاته، فإن الله لم يجعل لهم إليه سبيلاً، وأيضاً السبيل ليس حجاباً إذا كشف علموا ما هو عليه، بل لا يحيطون به علماً كما في الآية الكريمة.

....

ونعرف أن القول في الصفات كالقول في الذات كما تقدم، بل ما يثبت له سبحانه يختص به ويليق به وإن اتفق في اللفظ، وكذلك ما يضاف إلى المخلوق يختص به ويليق به، فإثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

قوله: «**فينزوي بعضها إلى بعض**» وتتضايق «**فتقول: قط قط**» أي كافيني وهو اسم فعل.

وقوله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إِلى النار» متفق عليه، وقوله: «ما منكم من أحد إِلَّا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان».

(إثبات صفة الكلام لله)

(**وقوله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا آدم**) فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كلام حقيقة مسموع بالآذان، فإن آدم سمعه بأذنيه فيجيب آدم (**فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوتٍ: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» متفق عليه**) فيه إثبات صفة الكلام؛ لأن النداء نوع منه، وهو الذي سبحانه ينادي.

وفيه أنه بحرف وصوت، وفي رواية «فيناديه» ففيه إثبات صفة الكلام، ومن أدلة ذلك: «أما إني لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

جرت محاورة بين بدعي وسنّي، فقال البدعي: إذا قال الله لك: ما دليلك على أن الله يتكلم بحرف وصوت؟ فأجاب السنّي بقوله: أقول ها أنا ربي، أسمع كلامك بحرف وصوت.

(**وقوله: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان»**) متفق عليه، كما تكلم في الدنيا يتكلم في الآخرة على ما يليق بجلاله وعظمته. وهذا التكليم في الآخرة من غير ترجمان ولا واسطة، بل كفاحاً. فهو تكلم ويتكلم وسيتكلم، ومذهب أهل السنّة أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وهذه عبارتهم.

وقوله ﷺ في رقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض،

(إثبات علو الرب وفوقيته)

(**وقوله ﷺ في رقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء»**) فيه إثبات علو الربّ وفوقيته، وجاء في علوه وفوقيته أكثر من ألف دليل.

«**في السماء**» إما أن يراد به مطلق العلو وتكون على بابها، وإما أن تكون بمعنى على، أي عليها وفوقها.

(**تقدس اسمك**) هذا فيه إثبات أن لله أسماء تسمى بها كما قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وقال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً» فدل على أن لله أسماء، وأنها دلت على الكمال إلى الغاية، ولا يجوز أن يتسمى بها أحد.

ومذهب أهل السنّة: إثبات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، وتقدم لكم وجوب الإيمان بها لفظها ومعناها، ويُقَرُّ ويعتقد معناها ولفظها.

«تقدس اسمك» معنى التقديس: التطهير، وهو مفرد مضاف، يشمل جميع الأسماء المثبتة في النصوص، وأنها كلها مقدسة ليس المراد تقدس واحد من أسمائك فقط والآخر لا؛ بل جميع الأسماء كلها، ففيه إثبات الصفات وأنها مقدسة، المعنى تقدست أسماؤك عن نقص وعيب.

وفيه إثبات كمال أسماء الله تعالى، فإن المراد جنس الأسماء، ولهذا في الآيات: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

(**أمرك في السماء والأرض**) فيه إثبات صفة الكلام؛ لأن أمره

كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ» حديث حسن رواه أبو داود وغيره، وقوله: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» حديث صحيح.

بكلامه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

(كما رحمتك في السماء) فيه إثبات صفة الرحمة.

(اجعل رحمتك في الأرض) فيه إثبات صفة الرحمة.

(اغفر لنا حوبنا وخطايانا) الحوب: هي الذنوب والخطايا، وعطف الخطايا على الحوب، إما أنه نوعان، نوع ونوع الخ والله أعلم.

وفيه إثبات صفة السمع.

(أنت رب الطيبين) فيه إثبات صفة الطيب، فهو الذي خلق الطيبين والطيب، فهو أولى بالطيب على وجه الكمال وعدم مماثلته للخلق بوجه.

(أنزل رحمة من رحمتك) فيه إثبات صفة الرحمة.

(وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» حديث حسن رواه أبو داود وغيره) الشفاء: هو البرء.

(وقوله: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» حديث صحيح) في هذا إثبات علو الربّ وفوقيته.

وقوله: «والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» حديث حسن رواه أبو داود وغيره.

وقوله للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم.

«في» هنا بمعنى على، وهي تجيء في العربية بمعنى الاستعلاء كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.

و«السماء» المراد بها السموات يعني فوق السموات.

«من في السماء» يعني: من على السماء. وقد تكون على بابها وهو الظرفية، يعني في العلو.

(**وقوله: «والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه» حديث حسن رواه أبو داود وغيره**) وهذا أيضاً فيه إثبات علو الربّ وفوقيته من غير تمثيل.

(**وقوله للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: مَنْ أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم**) هذا فيه جواز السؤال عن الله بلفظ «أين»، وأهل التجهم والاعتزال يشهدون لمن يقول: أين الله بالكفران، والنبي ﷺ أقرها على ذلك وشهد لها بالإيمان، فدلك على أن مثبتي الصفات أتباع ولد عدنان، ومنكريها أتباع جهم بن صفوان.

ففي هذا النص إثبات لعلو الربّ وفوقيته.

وقوله: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت» حديث حسن.

(إثبات معية الله لخلقه)

(**وقوله: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك»**) مع كل عبد (**حيثما كنت» حديث حسن**) هذا فيه إثبات صفة المعية العامة. وهي معية تليق بجلال الله وعظمته، وهو مستوٍ على العرش، معية ـ من غير امتزاج ولا اختلاط ولا مماسة ـ في جميع أحوالك، ما يكون من حالة إلا والله معك، ومقتضى المعية العامة: العلم والإحاطة على خفاياتك وجلياتك.

وفيه من الفوائد: أن الإيمان يزيد وينقص، ثم هذه الزيادة تارة تكون عن فعل، وتارة تكون عن ترك، والنقص تارة يكون من غير اختيار كالحائض وغيرها، وأن كماله بشيئين:

الأول: في الكمية، وهي القيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات.

والثاني: بالكيفية، وهو التفاضل بتفاضل ما في القلوب كما في خبر أبي بكر.

وفيه من الفوائد: دخول أعمال القلب في الإيمان، ولهذا أحد تعاريف الإيمان أنه قول وعمل.. الخ. فهذا من قول القلب؛ علمه وإقراره أن الله معك حيثما كنت؛ ثم ما دل عليه من كونه أفضل الإيمان لكونه يكسب مقام الإحسان، فإن الدين مراتب ثلاث أعلاه الإحسان، كما في حديث جبريل، والإحسان كما وضحه النبي ﷺ «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»[1].

---

(١) رواه البخاري ١/ ٢٧، رقم ٥٠، ومسلم ١/ ٣٦، رقم ٨.

....

وفائدة أخرى: أن التقسيم الذي في حديث جبريل يفيد أن الإحسان ليس خارجاً من الإيمان بل منه، كما أنه من الإسلام، فإذا أفرد دخل فيه الآخر، وإذا اقترنا فكلٌ له مرتبة.

وقوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق قبل وجهه، ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه» متفق عليه.

وقوله ﷺ: «اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ والأرضِ، وربَّ العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة

(إثبات صفة القرب لله لا ينافي علوه وفوقيته)

(وقوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق قبل وجهه، ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه» متفق عليه) فيه إثبات صفة القرب وأن الله تعالى قِبَل وجه المصلي في صلاته، على ما يليق بجلاله وعظمته، لا نعلم كنهه وكيفيته، فلا تظن أن هذا ينافي ما ورد في النصوص من علو الربّ تعالى وفوقيته، فإن السموات والأرضين كلها في يده كالخردلة، فلا يمتنع عليه تعالى شيء من مثل هذه الأمور، فكل هذا وهذا حق، وإنما يمتنع ذلك على المخلوق، فنثبته حقيقة كما أثبته المصطفى ﷺ ودلنا عليه، فهو تعالى مع كمال علوه قِبَل وجه المصلي وهو فوق سمواته من غير تمثيل.

وفيه نهي المصلي أن يبصق قبل وجهه الخ.

(وقوله ﷺ: «اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ والأرضِ، وربَّ العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحبِّ والنوى، مُنزِّل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة

أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر» رواه مسلم.

أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر» رواه مسلم).

هذا الحديث فيه هذا الدعاء النبوي، وفيه إثبات عدة أسماء للربّ سبحانه وصفات، منها: صفة العلو في قوله: «مُنزِّل» فإن النزول لا يكون إلا من أعلى.

وفيه أن القرآن والتوراة والإنجيل منزلة غير مخلوقة.

وفيه إثبات صفة السمع، وأن الله تعالى يسمع حقيقة فلا يُدْعى إلا الذي يَسْمع دعاءَ الداعي.

وفيه إثبات هذه الأسماء الأربعة الحسنى لله سبحانه، وهي المذكورة في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

وفيه بيان تفسير كل من الأسماء الأربعة، وأن تفسير اسمه «الأول»: الذي ليس قبله شيء.

ومعنى «الآخر»: الذي ليس بعده شيء.

ومعنى «الظاهر»: الذي ليس فوقه شيء.

ومعنى «الباطن»: الذي ليس دونه شيء.

وقوله ﷺ ـ لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر ـ: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً،

فلا يسوغ تفسير هذه الأسماء إلا بهذا التفسير النبوي، ومعنى الظهور: العلو، فإن كل مكان أعلى فهو أظهر.

وقول النبي ﷺ: «الباطن» مثل «أن تعلم أن الله معك»، ومثل «قِبَل وجهه» فإن بطونه على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل.

وذكر ابن القيم أن الأول مقابل الآخر، والظاهر مقابل الباطن، وأن المراد بالباطن بذاته، كما أنه الظاهر بذاته، وكما أنه الأول بذاته فهو الآخر بذاته.

ولا يظن أن هذا يدل على الحلول كما ذكره بعض المبتدعة، فإن المخلوقات في يده سبحانه وتعالى كالذرة، فإن المخلوقات لا تحول دونه جل وعلا، فإنه الذي لا أكبر ولا أعظم منه.

(**وقوله ﷺ ـ لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر**) في بعض الأسفار ـ: (**أيها الناس اربعوا على أنفسكم**) اقصروا على أنفسكم، والرَّبْع: القَصْر، وارفقوا بها يعني: لا ترفعوا هذا الرفع.

(**فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً**) فيحوجكم ذلك إلى رفع الأصوات، وإنما يحتاج رفع الصوت للأصم الذي لا يسمع والغائب، أما القريب فليس في رفع الصوت له فائدة.

إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» متفق عليه.

(إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» متفق عليه) في هذا إثبات صفة السمع، وإثبات قُرْب الربّ تعالى من داعيه، وهذا هو القرب، فإنه أتى في القرآن خاصٌ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية، وكما في هذا الحديث، وكما في حديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1] والقرب لا ينقسم كما تنقسم المعية.

(القرب لا ينقسم كما تنقسم المعية وإنما هو خاص)

---

(١) رواه مسلم ١/ ٣٥٠، رقم ٤٨٢.

وقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»

(إثبات رؤية الرب في القيامة وفي الجنة عياناً بالأبصار)

(وقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا» متفق عليه) هذا فيه إثبات رؤية الربّ سبحانه في القيامة عياناً بالأبصار، ويُرى في الجنة عياناً بالأبصار.

(كما ترون القمر ليلة البدر) وهذا أظهر وأجلى ما يكون في رؤية القمر ليلة أربعة عشر، لكبره ولارتفاعه وظهوره، أي: كما أن رؤيتكم عياناً بالأبصار مقابلة.

(لا تُضَامُوْن) بضم التاء وتخفيف الميم، أي: لا يلحق أحد منكم ضيم أو ضيق أو مشقة عند رؤيته، فكل يراه من غير ضيم يلحقه، وذلك أنه جلي ظاهر، كل يراه في مكانه بخلاف الشيء الخفي.

ويروى «لا تَضَامُّون في رؤيته» أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض، أي لا يحوج هذا كنظر الشيء الخفي؛ لأنه شيء أجلى.

وفي رواية أخرى: «لا تضارون» أي: لا يلحقكم ضرر عند رؤيته.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا تشبيه للمرئي بالمرئي، لأنه لم يرد في النصوص تشبيه الباري بخلقه، ورؤية الناس للقمر معلوم أنها من غير إحاطة، فلا يدركون كنهه ولا كيفيته وهو مخلوق، فالباري

فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا» متفق عليه.

يُرى ولا يحاط به رؤية، فإن الله تعالى أجل وأعظم من أن تحيط به أبصار المخلوقين لضعفها كما في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ فنفى الأخص وهو الإحاطة، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم وهو الرؤية.

(فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس) وهي صلاة الفجر.

(وصلاة قبل غروبها) وهي صلاة العصر، يعني أن لا تؤخروها عن وقتها التي شرعت فيها.

(فافعلوا) فإن كل الصلوات الخمس فريضة، وكلٌّ من الواجبات وواجبٌ المحافظة عليها؛ لكن بعضها أفضل من بعض، كما أن المحرمات بعضها أشد تحريماً من بعض، ففيه أفضلية هاتين الصلاتين، وأفضيلة المحافظة عليهما في أوقاتهما.

وكل منهما قيل: إنها الوسطى، وقد ذكر ابن كثير الأقوال وبسط تعدادها في قوله: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، وثبت عن النبي ﷺ أنها العصر.

وجاء في الحديث الآخر ما يدل على أفضليتهما: «من صلى البردين دخل الجنة»[1] وهما العصر والفجر، وكان أول ما فرض هاتان الصلاتان في أول النهار وفي آخره.

---

(١) رواه البخاري ١/ ٢١٠، رقم ٥٤٨، ومسلم ١/ ٤٤٠، رقم ٦٣٥.

ومناسبة ذكر هذا: أن أهل الجنة يرون الله بكرة وعشياً، وهذا وجه قرن هذه الجملة بما قبلها.

وفيه ما يشعر أن أكمل المؤمنين رؤية، أشدهم محافظة على هاتين الصلاتين، وجاء في الحديث: «أن الله يتجلى لهم يوم الجمعة»[1] وهذا لا ينافي هذه الرؤية، لأن رؤيتهم لربهم يوم الجمعة نظرٌ إليه أسبوعي، وهذه رؤية يومية، وأيضاً ذاك أخص من هذا. وأما النساء فجاء حديث أنهن يرينه من العيد إلى العيد[2].

ورؤيته تعالى أعظم نعيم أهل الجنة؛ بل ما طاب لهم نعيم إلا برؤيته تعالى، كما أن أهل الجحيم أعظم عذابهم أن حجبوا عن رؤيته. ويُرى سبحانه في عرصات القيامة.

---

(١) كما في الترمذي ٤/ ٥٩١ رقم ٢٥٤٩، وابن ماجه ٢/ ١٤٥٠ رقم ٤٣٣٦، وابن أبي عاصم في السنّة ١/ ٢٥٨ رقم ٥٨٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دنيّ، على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلساً، قال أبو هريرة قلت يا رسول الله: هل نرى ربنا؟ قال: نعم، قال: هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قال: لا، قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم».

(٢) رواه الدارقطني في كتاب الرؤية ص٨٢ رقم ٥٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عزّ وجلّ فأحدثهم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة، وتراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر».

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة

(أهل السنّة والجماعة يؤمنون بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في الصفات)

(**إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به**).

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أمثلة من أحاديث الصفات تدلنا على ما وراءها، ثم قال: «إلى أمثال هذه الأحاديث. .» الخ، يريد: أنها ليست هذه الأحاديث وحدها، بل هي قليل من كثير، ونقطة من بحر، وحصر الأحاديث التي يصف بها رسول الله ﷺ ربه عزّ وجلّ على الحقيقة لا على المجاز بما يناسبه ويليق به، يستدعي أسفاراً.

والمصنف ذكر القسم الكبير من الكتاب العزيز بالنسبة إلى هذه المختصرة، ثم ذكر القسم الكبير من السنّة بالنسبة إلى هذه المختصرة، لتكون معك أصول تستدل بها على ما وراءها، ولتأخذها براهين لما يذكر من المسائل.

(**فإن الفرقة الناجية**) هي (**أهل السنّة والجماعة**)، والثنتان والسبعون كلها في النار، ليس الناجي غير أهل السنّة والجماعة، الذين درجوا على ما درج عليه النبي ﷺ، ولهذا لما سئل النبي ﷺ من هم؟ قال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[1]، وحديث «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذي يلونهم»[2]، وحديث «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٨/ ٢٢، رقم ٧٨٤٠.

(٢) رواه البخاري ٣/٩٣٨، رقم ٢٥٠٧، ومسلم ٤/ ١٩٦٤، رقم ٢٥٣٥.

يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

يلونهم»[1]، وما عداهم فهم على جَوْر وانحراف.

(يؤمنون بذلك) كله، يعني: بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في الصفات.

(كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه) يعني القرآن، فالكتاب والسنّة أخوان شقيقان يجب الإيمان بهما جميعاً؛ فإن النبي ﷺ أوتي الكتاب والحكمة وهي السنة.

(من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)[2] فيؤمنون بها، ويعتقدون مدلولها على ما يليق بجلال الله وعظمته.

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٣٣٥، رقم ٣٤٥٠.

(٢) قلت: تقدم معنى التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل في ص ٢٣ ـ ٢٦.

بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى: بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

(مكانة أهل السنّة والجماعة بين فرق الأمة)

(**بل هم الوسط في فرق الأمة**) يعني: العدل الخيار في فرق هذه الأمة المحمدية التي افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، أما بقية الفرق الثنتين والسبعين فهم أهل انحراف عن الصراط المستقيم. منهم من خرج به عن الدين، ومنهم من خرج به عن بعضه، ومنهم من مال به.

(**كما أن الأمة هي الوسط**) العدل الخيار (**في الأمم**) كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فشهادتهم مقبولة على البقية، والبقية لا تقبل شهادتهم عليهم، وكما قال ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»[1].

(الناس في باب الصفات ثلاث فرق أهل السنّة هم الوسط بينهم)

(**فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى**) عدل خيار: (**بين أهل التعطيل الجهمية**) النفاة، (**وأهل التمثيل المشبهة**).

هذا الباب باب الصفات باب عظيم كبير، والناس في هذا الباب ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: أهل التحريف والتعطيل، نفوا وجحدوا، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وإن كانوا يتفاوتون.

---

(١) رواه أحمد ٤/٤٤٧، والترمذي ٥/٢٢٦، رقم ٣٠٠١، وابن ماجه ٢/١٤٣٣، رقم ٤٢٨٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٥.

....

وقابلتهم الفرقة الثانية: وهم أهل التشبيه والتمثيل من الرافضة وغيرهم.

والثالثة: أهل الوسط، وهم أهل السنّة والجماعة، توسطوا فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله، إثباتاً لا يقتضي التمثيل، ونفوا عن الله ما لا يليق بجلاله وعظمته، نفياً لا يقتضي التعطيل، فصاروا أهل الوسط في هذه الفرق.

فالأولون نفوا حتى غلوا في النفي، فعطلوا صفات الله سبحانه، زعماً منهم أن إثباتها يقتضي التشبيه، أو خوفاً من التشبيه، فوقعوا في تشبيه شرٌ منه كما يأتي.

وأهل التمثيل أثبتوا وغلوا في الإثبات فوقعوا في التشبيه والتمثيل، قالوا: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، ونحوه.

وكل من الطائفتين يضرب النصوص بعضها ببعض، ووفق الله أهل السنّة للطريق المستقيم، أهل الدين القويم، أتباع سيد المرسلين، الذين اقتدوا واتبعوا الصحابة والتابعين، وما جاء به سيد المرسلين عن رب العالمين.

(الفرق بين مذهب الأشاعرة والجهمية)

س: ما الفرق بين مذهب الأشاعرة والجهمية.

جـ: مذهب الأشاعرة في الصفات إثبات الأسماء جميعها، وإثبات سبع صفات، والجهمية ينكرونهما جميعاً، فوافقوهم في النفي ما عدا السبع والأسماء.

وليس عند أهل السنة بحث ولا تفتيش، بل آمنوا بالجميع على ما يليق بجلال الله وعظمته، فالصدر الأول الصحابة ومن بعدهم، قبلوا ما جاء به الكتاب والسنّة، وآمنوا به من غير تمثيل، ثم لمّا ظهرت المعطلة والمشبهة احتاج أهل السنّة للكلام في الصفات والبحث فيها، فبينوا أن طريقتهم هي إثباتها مع العلم بمعانيها، وأنها حق، وضللوا وبدعوا وكفروا أهل التعطيل وأهل التمثيل، ومن كلام بعضهم: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله تشبيه»، ومن كلام بعضهم: «المعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً» وعابد العدم شر من عابد الصنم كما تقدم.

فعرفت كفر كلٍّ من الطائفتين، وعرفت أن كفر المعطلة أعظم؛ لأنه محفوف بتشبيهين، شبهوا أولاً، وعطلوا ثانياً، ولزمهم في تعطيلهم التمثيل بالجمادات والمعدومات، بل والممتنعات.

وهم وسط في باب أفعال الله: بين الجبرية، والقدرية وغيرهم.

(أهل السنّة وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية)

(وهم) أهل السنّة (وسط في باب أفعال الله) في شمول مشيئته وخلقه لأفعال العباد[1]: (بين الجبرية) الذين يجعلون أفعال العبد فعل الله وليس للعبد فعل أصلاً، وإنما هو كالميت أدرج في الأكفان، (والقدرية وغيرهم) الذين يقولون: الأفعال فعلها العبد، فما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل ولم يخلقها الله.

فأفعال الله تعالى قد غلا في إثباتها قوم، وهم القدرية المجبرة من الجهمية والأشاعرة ومن وافقهم، حتى جعلوا العبد مجبوراً على أفعاله، وأنه كالآلة، وكالمستدير في يد مديره، لا فعل له، ولا إرادة له، ولا قدرة، ولازم قولهم: أن أفعالهم هي أفعال الله، وغلاتهم يقولون: أفعالهم عين فعل الله.

وقابلهم قوم، وهم القدرية النافية للقدر، فأخرجوها عن أفعال الله وأنها ليست بتكوينه، وقالوا: إن الذي يفعل العبد، من غير قضاء الله وقدره، فلازم قولهم: أن العبد يخلق مع الله.

فهدى الله أهل السنّة، فأثبتوا أفعال الله ولم يغلوا فيها. فآمنوا أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن العبد له فعل ومشيئة وقدرة، لكنها تابعة لمشيئة الله وقدرته ومشمولة بالخلق[2].

---

(١) (عبارة أخرى) في عموم مشيئته وتخليقه وتكوينه.

(٢) قلت: ويأتي مبحث خاص بالقدر والإيمان به مبسوط فيه ما يتعلق بأفعال الله هناك في ص ١٦٨.

وفي باب وعيد الله: بين المرجئة، والوعيدية من القدرية وغيرهم.

(أهل السنّة وسط في باب نصوص الوعيد بين المرجئة والوعيدية)

(و) أهل السنّة وسط (**في باب**) نصوص (**وعيد الله**) بالعذاب أو بالنار لعصاة الموحدين (**بين**) طرفين: (**المرجئة، والوعيدية**).

فالمرجئة: يعطلون نصوص الوعيد، ولا يعتقدون حقيقة الوعيد وأن عصاة المؤمنين على خطر إن لم يتجاوز الربّ عنهم، بل يُغلِّبون جانب الرجاء ويتأخر منهم العمل.

والوعيدية (**من القدرية وغيرهم**) يثبتون نصوص الوعيد ويغلون في إثباتها ويزيدون فيها، ويرون أن من توعد فيها من عصاة الموحدين فهو من المخلدين في النار، حكمه حكم الكفار والمشركين.

وأهل السنة يثبتون نصوص الوعيد، ويمرونها كما جاءت ولا يعطلونها، مع مراعاة شيء آخر وهو أن كل ذنب دون الشرك فهو تحت المشيئة، ولا يُغلِّبون جانب الرجاء فيتأخر منهم العمل، ولا يرون أن عصاة الموحدين مثل الكفار ولكن يخشون عليهم.

ويأتي في آخر الكتاب إيضاح هذا الباب في باب مستقل[١].

---

(١) في ص ١٨٤.

وفي باب أسماء الإيمان والدين: بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

(أهل السنّة وسط في مسألة الأسماء والأحكام بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية)

(**وفي باب أسماء الإيمان والدين**) كنصوص التكفير، وهذه يقال لها: «مسألة الأسماء والأحكام» مثل الإسلام والإيمان والكفر والفسق. والمرجئة ما بالوا بها ولا أشفقوا، وأهل السنّة أعطوها حقها وخافوا ارتكابها.

فأهل السنّة وسط بين طرفين: (**بين الحرورية**) نسبة إلى حروراء وهم الخوارج، (**والمعتزلة، وبين المرجئة**) قيل: من الإرجاء وهو التأخير (**والجهمية**).

فالخوارج والمعتزلة طرف، والمرجئة والجهمية طرف.

المعتزلة والخوارج قالوا: إن الإيمان قول وعمل لكن لا يتبعض ولا يتجزأ، قالوا: إن ترك المعصية وفعل الطاعة إيمان، فإذا فعل الموحد المعصية، أو ترك الطاعة زال عنه الإيمان كله.

ثم الخوارج تكفره، والمعتزلة تجعل له منزلة بين المنزلتين. وافقوا أهل السنّة في أصل الإيمان أنه قول وعمل، لكن خالفوهم فقالوا: لا يتبعض ولا يتجزأ.

والمرجئة والجهمية قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو القول فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ.

فيلزم على القول بأنه العلم بالحق والمعرفة، أن إيمان جبريل وإبليس واحد.

....

ويلزم على القول بأنه القول فقط، أن إيمان جبريل وإيمان المنافقين واحد.

وأهل السنّة وسط بين هذين الطرفين، فقالوا: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ويتبعض ويتجزأ، وأن التصديق بالقلب وحده ليس بإيمان، وأن الذي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ليس بمؤمن، وأن الفاسق الملّي لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر وغير ذلك مما تقتضيه أصولهم[1].

(١) قلت: ويأتي فصل خاص بمسألة الإيمان والأحكام، وبسط الأقوال في حد الإيمان، وحكم الفاسق من أهل الملّة عند الفرق الثلاث في ص ١٨٤.

وفـي أصـحـاب رسـول الله ﷺ: بـيـن الـرافـضـة، والخوارج.

(أهل السنّة وسط في الصحابة بين الرافضة وبين الخوارج)

(وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج).

الرافضة غلوا في علي وأهل البيت، حتى قال بعضهم بإلٰهيتهم أو نبوتهم، أو عصمتهم، فالرافضة يغلون في أهل البيت بتعظيمهم، ويجفون بقية الصحابة إلا نفراً قليلاً، ومسلكهم فيهم التكفير.

ومسلك الخوارج في أصحاب رسول الله ﷺ معلوم معروف، يكفرونهم أو يفسقونهم ـ أهل البيت وغيرهم ـ لما وقع منهم من التحكيم وغيره، خصوصاً عليّاً ومعاوية وأهل الشام.

وأهل السنّة والجماعة وسط، وعلى هدى مستقيم بين ضلالتين، يترضون عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ويعرفون حقهم وينزلونهم منازلهم، ولا يرون فيهم ما يراه الخوارج والروافض من تكفيرهم.

وكذلك أهل السنّة والجماعة توسطوا في أهل بيت رسول الله ﷺ، ورأوا أن لهم مزية لقربهم من النبي ﷺ كما قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[(١)]، ولا يرون ما يراه الروافض من الغلو في أهل البيت، ولا ما يراه الخوارج والنواصب من العداء لأهل البيت.

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/ ٢٠٧ رقم ١٧٧٧، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٨٢ رقم ٣٢٢١٣ بلفظ: «والله لا يدخل قلب امرئ إيمان، حتى يحبكم لله ولقرابتي».

فصل

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون،

(فصـل)

(الإيمان بعلم الله ومعيته مع خلقه وأنها لا تنافي علوه وفوقيته من أعظم الإيمان بالله)

(وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه، عليٌّ على خلقه) يعني منفصل من خلقه بائن منهم، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

(وهو سبحانه معهم أينما كانوا) معية تقتضي العلم والإحاطة والاطلاع.

(يعلم ما هم عاملون) هذا تفسير لقوله: «وهو سبحانه معهم»، وألجأهم إلى أن يفسروها باللازم، لرد محذور أكبر، من أجل أنهم يتكلمون مع الجهمية القائلين بالحلول وإنكار العلو، فبينوا أنه ليس بالخلق مختلطاً، هذا مقتضى المعية، وكذلك الإحاطة والقدرة وملكه وقبضه.

والإيمان بذلك من أعظم الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فهو مع كمال علوه وفوقيته بكمال علمه ومعيته مع خلقه.

كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة،

(**كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾**)، واستواؤه على عرشه هذا فيه إثبات علوه على خلقه (﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾) إثبات كمال العلم.

(﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾) إثبات صفة المعية.

(﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾) إثبات صفة البصر.

(معية الله لا تقتضي الامتزاج بإجماع السلف والفطرة دلت على ذلك واللغة لا توجبه)

(**وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ أنه مختلط بالخلق**) ممتزج بالخلق كما تقوله حلولية الجهمية، حاشا وكلا، بل معية الله تعالى لا تقتضي ذلك، فإنها وردت مطلقة في وصف الله.

(**فإن هذا لا توجبه اللغة**) التي نزل بها القرآن من أن المراد بها الامتزاج، بل ترد ويراد بها هذا، وترد ويراد بها هذا[1].

---

(١) قلت: بحسب الإطلاق والتقييد، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة، أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني، دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو والنجم معنا، =

وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان.

(**وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة**) فإنهم مجمعون على أن الله فوق عرشه، بائن من خلقه، فلو قلتَ: المعية لها معنيان؟، قلتُ لك، لكن يدل على أن المراد الأول إجماع المسلمين. ولما سئل ابن المبارك بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه».

(**وخلاف ما فطر الله عليه الخلق**) عربهم وعجمهم، صامتهم وناطقهم، فإنهم مطبقون على معرفة خالقهم ومزيل الضرّ عنهم، فوق السموات على العرش، فإنهم إذا حزب أحدهم حازب، رفع رأسه إلى السماء، حتى البهائم العُجْم إذا حزبها حازب رفعت رؤوسها إلى السماء.

(امثلة على ان المعية لا تقتضي الامتزاج)

(**بل القمر آية من**) جملة (**آيات الله**) المشاهدة في الدنيا، (**من أصغر مخلوقاته**) بالنسبة إلى السموات، (**وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان**) ويصح أن يكون مع المسافر وغير المسافر وهو في موضعه، فمعية القمر مع الماشي وغيره تخصه وهو في فلكه، فكيف برب العالمين؟ يقول السفار:

= ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة» مجموع الفتاوى ٥/١٠٣.

وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

«سافرنا ومعنا القمر» وهو ليس مختلطاً بهم، بل في فلكه. والعرب تقول: «ما زلنا نسير والقمر معنا» ولا يريدون أنه حال فيهم ممازج، وإذا كانت معية القمر تطلقها العرب ولا يريدون ما تقدم، فلأن لا تفيد النصوص ذلك في حق الله بطريق الأولى، فإن الشخص يكون معه القمر وليس فيه القمر وليس معه إلا نوره.

ويقال: «فلان مع فلان» إذا كان يميل إليه وإن كان بينهما مسافة بعيدة.

ويقال: «هذه المرأة مع فلان» وإن كان بينهما مسافة.

«وفلان مع الأمير» كذلك.

فبطريق الأولى ربّ العالمين، فكما أن ذاته لا كذوات المخلوقين، فكذلك صفاته، بل هي معية موافقة مطابقة لائقة به.

فالمراد شيء واحد وهو: أن المعية لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً، فإنه صح في لغة العرب أنه معهم من قولهم: «سرنا والقمر معنا».

(وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع) مشرف **(عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته)**.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا. حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء تُقِلُّه أَو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله قد وسع كرسيه

(الله فوق العرش وهو مع خلقه شيئان متوافقان لا يتنافيان كلاهما حق على حقيقته)

(وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا، حق على حقيقته) كلٌّ حق على حقيقته، هو على العرش حق على حقيقته، وهو معنا حق على حقيقته، فهما شيئان متوافقان لا يتنافيان أبداً، فليس معنى قوله: «حق على حقيقته» كما يتبادر في الذهن من صفات المخلوقين، فبين صفات الله وصفات المخلوقين أعظم تباين يوجد.

(لا يحتاج إلى تحريف) أي الذي يسميه المحرفون تأويلاً.

(الله يصان عن الظنون الكاذبة فهو الغني بذاته ولا يحتاج إلى شيء من مخلوقاته)

(ولكن يصان عن الظنون الكاذبة) والأفهام الفاسدة، فإن بالظنون الكاذبة يكثر الاختلاف.

(مثل: أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء تُقِلُّه): تحمله، وأنها لو سقطت لسقط ـ تعالى الله وتقدس ـ.

(أو تظله): تكون له كالظلة ـ تعالى الله وتقدس ـ.

(وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان؛ فإن الله) هذه فاء التعليل (قد وسع كرسيه) الكرسي: موضع القدمين، وجاء في الحديث «ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض

السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إِلّا بإذنه، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾.

فلاة»[1] وهو صغير بالنسبة إلى العرش كما في الحديث «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة»[2] فكيف يظن أن السموات تقله أو تظله؟! بل السموات السبع كلها كالخردلة في يد أحدنا كما في الحديث[3].

فيظهر بهذا أن جميع مخلوقاته مفتقرة محتاجة إليه من العرش إلى الثَّرى، ولولا إقامته لها لاندكَّ بعضها على بعض، فهو تعالى الغني بذاته عن جميع مخلوقاته من عرشه حتى الحضيض، بل كل المخلوقات مفتقرة إليه.

(**وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إِلّا بإذنه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾**) فلا قامت إلا بأمره وقدرته وإمساكه، فكيف يظن أنه محتاج إليها وهو الغني الكامل بذاته؟!

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٧٦.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٧٦، «وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة».

(٣) الذي رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ٢/ ٤٧٦، رقم ١٠٩٠، وابن بطة في الإبانة ٣/ ٣٠٨، رقم ٣٠٨، موقوفاً على ابن عباس «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الله عز وجل، إلا كخردلة في يد أحدكم».

فصل

وقد دخل في ذلك: الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقوله ﷺ: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»

(فصل)

(إثبات صفة قرب الله الخاص وأنه لا ينافي علوه وفوقيته)

(وقد دخل في ذلك) يعني: في الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، فإن الإيمان بالله يشمل الإيمان بذاته وأسمائه وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأشياء من جملتها **(الإيمان بأنه قريب)** من سائليه، **(مجيب)** لداعيه.

(كما جمع بين ذلك) أي: قربه وإجابته **(في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾)**.

(وقوله ﷺ) ـ لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر ـ «أيها الناس: اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً **(إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)** وهذا القرب هو القرب الخاص، قربه من عابديه ومن سائليه، يعني سواء كان ذلك الدعاء دعاء عبادة، أو دعاء مسألة، والقرب لم يرد في الكتاب والسنة إلا لهذين: العابدين والسائلين، وجاء في الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1].

---

(١) رواه مسلم ١/ ٣٥٠ رقم ٤٨٢.

وما ذكر في الكتاب والسنّة، من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه.

(وما ذكر في الكتاب والسنّة، من قربه ومعيته، لا ينافى ما ذكر) في الكتاب والسنّة **(من علوه وفوقيته)** بل كلٌّ من هذا وهذا، حق على حقيقته، فله سبحانه كمال القرب وكمال المعية، مع كمال العلو والفوقية.

(فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته) يعني ليست نعوته كنعوت الخلق، ولا تصل تقديرات الخلق إلى معرفة كُنْهِ صفاته، والمخلوق هو الذي نعوته ليست كذلك.

(وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه) يعني وهو مع كمال علوه قريب، ومع كمال قربه عليٌّ، ولا منافاة بين هذا وهذا، فهو سبحانه على كل شيءٍ قدير، فلا يعجزه شيء، ولا يشق عليه شيء، بل السموات في يده كالخردلة في يد أحدنا.

فصل

ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود،

(فصــل)

(كلام الله منزل غير مخلوق سمعه جبريل من رب العالمين)

(ومن الإيمان بالله وكتبه: **الإيمان بأن القرآن**) الموجود الذي في المصاحف (**كلام الله منزل**) من الله، يعني: أن الله نزله بواسطة جبريل، وجبريل سمعه من رب العالمين، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، وبلّغه العالمين، هذا هو طريق ورثة سيد المرسلين ـ بخلاف ورثة فرعون اللعين ـ نزل به الروح الأمين، بلسان عربي مبين، ولا منافاة بين هذا، وبين كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ.

(**غير مخلوق**) والقول بأنه مضاف إلى الله إضافة خلق، هو قول الجهمية والمعتزلة، قالوا: إنه مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، إما في الشجرة أو على لسان القاريء، فمن ذلك الجسم بدأ لا من الله، ولا يقوم بالله عندهم كلام ولا إرادة.

(**منه بدأ**) قولاً، ولهذا في الآيات ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

(**وإليه يعود**) في آخر الزمان، كما جاء في الأحاديث أنهم إذا نسوا الآية أو الشيء، أنهم يرجعون إلى المصاحف، فلا يجدون شيئاً، ثم يرفع ـ بعد تعطله وترك العمل به في آخر الزمن ـ إلى من

وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمَّد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أَو عبارة عنه،

تكلم به، من الصدور ومن المصاحف، يرفع من صدور من يقرؤه، وإذا نُظر في المصاحف فإذا هم لا يجدونه فيها.

(وأن الله تكلم به حقيقة) لا مجازاً.

(القرآن كلام الله حقيقة)

(وأن هذا القرآن) الذي هو المكتوب **(الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة)** هو كلام رب العالمين **(لا كلام غيره)** وعبارة أهل السنّة: أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن هذا القرآن كلام الله.

(ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله) كما أطلقته الكلابية، يعني: أنه يشبهه وإلا ليس كلام الله.

وبعضٌ تحاشى كلمة حكاية وقال: هو **(عبارة عنه)** أي: عن كلام الله وإلا ليس كلام الله كما أطلقته الأشاعرة.

وهذا كله بناءً على القول بالكلام النفسي وأنه شيء واحد، لا فرق بين أمره ونهيه، وخبره واستفهامه، وتوراته وإنجيله، وهم الذين ألّف المصنف في الرد عليهم «التسعينية»، وهذا القول أشر من قول الجهمية، وقد أضحكوا الأمم وخرجوا به عن المعقول، والأشاعرة فرع عن الكلابية في هذه المسألة، والماتريدية قولهم يقارب قول الأشاعرة، إلا أن بين القولين فروق عديدة، بعض المؤلفين صرح بكثير منها.

بل إذا قرأه الناس، أَو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إِلى من قاله مبتدئاً، لا إِلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

(بل إذا قرأه الناس) أو حفظوه في صدورهم **(أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة)** فالصوت صوت القارىء، والمداد والورق مخلوق. وأما هذا المحفوظ فهو كلام الله، هذا المسموع هو كلام الله، هذا المرسوم هو كلام الله، هذا المتلو هو كلام الله تعالى.

فله أربع مراتب: الوجود الذهني وهو حفظه في الصدور، والوجود العيني، والوجود النطقي، والوجود السمعي، فما في الصدور منه هو كلام الله، وهذا الذي تراه في المصاحف هو كلام الله، والذي تتلفظ به هو كلام الله، والذي تسمعه هو كلام الله.

والمراد أنه بكل مراتبه ووجوهه لا يخرج عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، سواء وجوده في المصحف، أو التلاوة، أو غير ذلك، فهو كلام الله موجود في المصاحف، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، متلو باللسان، والورق والمداد مخلوق، والصوت صوت القارىء، والكلام كلام الباري.

(فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً) عن غيره، فالذي يقوله الأول ينسب إليه، وقد جاء في القرآن إضافة القرآن إلى الله كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. والكلام في لغة العرب إذا أضيف فالمراد إلى من قاله مبتدئاً، فإنك

وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروفَ دون المعاني، ولا المعانيَ دون الحروف.

إذا قلت: قال الشافعي، فالمراد أنه أول من قال هذا القول، وأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فهذا جاء في موضعين فالمراد التبليغ.

فإن قيل: أضافه إلى الرسول؟ قيل: نعم، فيه أن الرسول في آيةٍ: جبريل، وآيةٍ أنه: محمد ﷺ، فيدل على أنه ليس كلامه إنما بلَّغه عن غيره، فإضافته إلى مبلِّغه إضافة تبليغ، لا إضافة قول وابتداء لأحدهما دون الآخر.

(وهو كلام الله حروفه ومعانيه) جميعاً.

(ليس كلامُ الله الحروفَ) فقط **(دون المعاني)** كما يقول طوائف من أهل الكلام والحديث: أنه حروف وأصوات قديمة أزلية لها معانٍ تقوم بذات المتكلم[1].

(ولا المعاني) فقط **(دون الحروف)** كما تقوله الكلابية والأشاعرة، بل هو كلام الله ـ مجموع الأمرين ـ حروفه ومعانيه.

---

(١) قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «طوائف من أهل الكلام والحديث من السالمية وغيرهم يقولون: إن كلام الله حروف وأصوات قديمة أزلية، ولها مع ذلك معان تقوم بذات المتكلم، وهؤلاء يوافقون الأشعرية والكلابية، في أن تكليم الله لعباده ليس إلا مجرد خلق إدراك للمتكلم، ليس هو أمراً منفصلاً عن المستمع» مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/١٦٦.

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته،

(فصل)

(الإيمان برؤية المؤمنين لربهم رؤية حقيقية عياناً بأبصارهم، في عرصات القيامة، وفي الجنة، وكيفية رؤيتهم له)

(وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله؛ الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم) رؤية حقيقية (كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب) وذلك لظهور الباري لكل أحد.

(وكما يرون القمر) في الدنيا (ليلة البدر لا يضامون في رؤيته) كما في الحديث «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»[1].

قوله: «لا تُضَامُون» بضم التاء وتخفيف الميم، أي لا يلحقكم ضيم ومشقة في ذلك، وفي رواية «لا تَضَامُّون» أي لا ينضم بعضكم إلى بعض كنظر الشيء الخفي.

كما أن رؤية القمر ليلة البدر ظاهرة وذلك لظهور البدر لكل أحد، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه للمرئي بالمرئي؛ لأن الله تعالى لا مثل له.

---

(١) رواه البخاري ٢٠٣/١، رقم ٥٢٩، ومسلم ٤٣٩/١، رقم ٦٣٣.

يرونه ـ سبحانه ـ وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله.

(**يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة**) في موقف القيامة.

(**ثم يرونه بعد دخول الجنة**) فأعلى لذة أهل الجنة هو النظر إلى وجه الله الكريم، فإنه لا لذة أعظم من اللذة بالنظر إليه سبحانه، كما أنه لا لذة لأهل الجنة أعظم من لذة السماع لكلامه، بل ما طاب لأهل النعيم نعيمهم إلا بذلك.

ثم هذه الرؤية للمؤمنين والحجب للكافرين، الرؤية للمؤمنين هي بما كان في قلوبهم من معرفة الله وإجلاله ونظره بالبصائر، وفي الآخرة بالأبصار.

أما أهل البدعة أعمت قلوبهم الشبهات والأوهام والبدع، فكذلك تحجب أبصارهم في الآخرة عن رؤية الله، كما حُجبت بصائرهم في الدنيا، ثم المؤمنون إذا رأوه في الآخرة لا يحيطون به رؤية، لعظمته وجلاله وكبريائه كما قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، وليس معناه لا تراه بل المراد أنها لا تدركه عما هو عليه، فالإدراك أخص من الرؤية ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم.

المراد: أن الرؤية الثابتة في الكتاب والسنّة المجمع عليها بين سلف الأمة هي من غير إحاطة، بل لو اجتمعت أبصار العوالم فكانت في بصر شخص واحد لم يدركه تعالى على ما هو عليه جل جلاله.

(**كما يشاء الله**) وكيف يشاء.

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه.

(فصل)

(الإيمان بما يكون بعد الموت من الإيمان باليوم الآخر)

(ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت).

هذا هو الأصل الخامس من أركان الإيمان الستة، وهو يعم ويشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت، وغير ذلك من أحوال البرزخ وما بعده، فإن هنا ثلاث دور، دار الدنيا، ودار الآخرة، ودارٌ بين الدارين وهي البرزخ والحاجب.

«الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت» ومنه ما يحصل للميت في القبر، وهو مجمع عليه ويجب الإيمان به، والإيمان به من جملة الإيمان باليوم الآخر.

(الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه)

(فيؤمنون بفتنة القبر) الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولك: فتنت الذهب، إذا عرضته على النار وعرفت جودته من رداءته.

فيؤمنون أن المقبور يفتن، ويفتن الميت ولو لم يقبر.

(وبعذاب القبر ونعيمه). تواترت عن النبي ﷺ الأخبار والأحاديث فيه وثبوته، وهو في الحقيقة روضة من رياض الجنة

....

لأهل الطاعة، أو حفرة من حفر النار لأهل المعصية. روضة لمن كان على الصراط المستقيم في الدنيا، أو حفرة لمن كان على الشك والريب والزيغ عن الصراط المستقيم والقول الثابت في الحياة الدنيا.

ثم العذاب والنعيم في البرزخ للروح والجسد جميعاً؛ لأنهما اللذان تساعدا على الطاعة أو على المعصية، للروح بالأصالة وللجسد بالتبع، بكيفيةٍ الله أعلم بها، فإن الروح قد انفصلت عن الجسد، ولكن لها اتصال به كما يأتي.

فأما الفتنة، فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، فيقول المؤمن: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمَّد ﷺ نبيي. وأما المرتاب

(فتنة الناس في قبورهم)

(**فأما الفتنة، فإن الناس يفتنون**) ويختبرون (**في قبورهم**) عن أعمالهم في الدنيا، وإن كان الله سبحانه قد علم ما هو كائن من الخلق قبل أن يخلقهم، فيأتيه ملكان عظيمان هائلان فظيعٌ منظرهما، وغليظةٌ أصواتهما، أحدهما اسمه منكر والآخر اسمه نكير، فهما بمنظرٍ ومسمعٍ وبحالٍ لا يقوى على إجابتهما إلا أهل التثبيت. والسؤال يكون عن مسائل القبر الثلاث، فيثبت بها قوم، ويزاغ بها آخرون.

(**فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾**) من كان في الدنيا على الثبات والحجة والبرهان.

(**فيقول المؤمن**) الذي كان على ثقة ويقين ثابت في الدنيا (**ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي**) لأنه كان عاش على الإيمان بذلك، ولهذا يقال له في الجواب على هذا عشت.. الخ.

(**وأما المرتاب**) الذي هو على ريب وشك[1] في الدنيا فهو بعكس ذلك عند هذه الفتنة العظيمة، يكون له الريب والشك

---

(١) قلت: في أحد التقريرات قال: «وأما المرتاب الذي على الزيغ والميل، فله الزيغ والميل عند هذه الفتنة». أثبتُّ هذا لئلا يكون بينهما فرق في المعنى، وقد يكون الشاك نوعاً، والزائغ نوعاً آخر.

فيقُولُ: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إِلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق.

(**فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته**) دينه دين المدينة وهو ما كان عليه أهلِ مدينته، يعني: فلولا أنه وجدهم عليه ما دان، ليس معه إيمان واصِلٌ إلى قلبه ومصدقته جوارحه.

(**فيضرب بمرزبة**) بمطرقة عظيمة (**من حديد، فيصيح**) المضروب (**صيحة يسمعها كل شيء**) من خلق الله (**إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق**) لسقط مغشياً عليه أو ميتاً من فظيع تلك الصيحة، وفي الحديث: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»[1]. لكن من رحمة الله ولطفه وحكمته في عمارة هذه الدار، أن الإنسان لا يسمع ما لأهل القبور، فلو سمع لما استقام لهم حياة، ولا قر لهم قرار على وجه الأرض.

---

(١) رواه مسلم ٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧.

ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد.

(مآل الناس بعد فتنة القبر)

(ثم بعد هذه الفتنة) وهي سؤال الملكين الفتَّانَيْنِ اللذين هما بالمنظر الفظيع، وكذلك انتهارهم المسؤول.

(إما نعيم) وهذا هو نعيم البرزخ لأهل التثبيت.

(وإما عذاب) ـ والعياذ بالله ـ لغير المثبت، فالكافر في جحيم.

والبرزخ: هو الفاصل بين شيئين، فقبر الإنسان هو دار البرزخ بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، والعذاب والنعيم فيه لأهله، للأرواح والأجساد جميعاً، فالأحكام في البرزخ للأرواح، والأجسام تبع لها، وفي الدنيا للأبدان، والأرواح تبع لها، وفي الآخرة لهما جميعاً، واتصال الروح بالجسد له خمس مراتب[(١)].

(إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد) هذا النعيم للمُثَبَّت، والجحيم للكافر، يستمر إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فإن القيامة قيامتان، صغرى وهي الموت فإن من مات فقد قامت قيامته، وكبرى.

---

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام، أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً، الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض، الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه، الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة، الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً» كتاب الروح ص ٤٣.

وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون. فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتُنْصَب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد.

(القيامة الكبرى)

(وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون. فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين) وهذه هي القيامة الكبرى كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(حفاة) لا نعال لهم، وأين النعال يومئذٍ؟

(عراة) وأين الثياب يومئذٍ؟

(غرلاً) غير مختونين، وهذا كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾.

(وتدنو منهم الشمس) فتكون قرب ميل، ويزاد في حرارتها، وكلهم تَصْلاه الشمس غير السبعة، ويكون كل إنسان في ظل صدقته، وما أثبتت النصوص أنهم يُظلون وإلا فلا ظل.

(ويلجمهم العرق) يبلغ موضع اللجام من الفرس وهو الفم، وذلك لهول ذلك اليوم وكربه.

(نصب الموازين)

(وتُنْصب الموازين) الإيمان بنصب الموازين من الإيمان باليوم الآخر؛ فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل أنواعاً منها هذا، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك معروفة.

(فتوزن فيها أعمال العباد) نفس الحسنات والسيئات، ولا ينافي

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾، **وتنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره،**

هذا ما جاء في وزن الصحائف والأبدان، فإن خفتها وثقلها إنما هي بالأعمال كما قاله ابن كثير.

(﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾) ولو بحبة واحدة، بأن رجحت حسناته بسيئاته فإنه ناج (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾) الفائزون.

(﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾) من الموحدين فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عامله بالعدل.

ومن عذبه (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾) خلود مؤبد للكافرين، أما الموحد فلا يخلد في النار.

(نشر الدواوين)

(**وتنشر**) يعني: تُفَلُّ (**الدواوين**) جمع ديوان وهي الورقة التي قيدت فيها أعمال العبد ـ حسناته وسيئاته التي كتبتها الحفظة ـ كما في الآية ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

(**وهي**) هنا (**صحائف الأعمال**) صحائف أعمال العباد وأقوالهم الصادرة منهم، المترتب عليها الثواب والعقاب، للنظر والاطلاع على ما فيها لعاملها، فيقرؤها من كان يقرأ في الدنيا ومن لم يكن يقرأ مسطورة.

(**فآخذ كتابه بيمينه**) وهم أهل السعادة.

(**وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره**) وهم أهل الشقاوة ـ والعياذ بالله ـ.

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

(**كما قال سبحانه وتعالى:** ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾) يعني ما طار له وما قدّر له ملازمٌ له ملازَمَةً لا انفكاك له منه بحال، فهو لازم في عنقه وهو ما قدّر وكتب له في الأزل.

(﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾) يعني مفلولاً بمقتضى ذلك، ولا حجة له في ذلك على القدر، فإن الحجة قائمة على العباد (﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾) وفي الآية الأخرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

وينقسم الناس حينئذٍ إلى قسمين: آخذ كتابه بيمينه، وهم أهل السعادة والنجاة، وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره.

فمن أوتي كتابه بيمينه فهو من أصحاب اليمين. ومن أوتي كتابه بشماله فهو من أهل الشقاوة كما في الآيات ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾، وكما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.

والإيمان بنشر الصحائف وأخذ الصحائف بالأيمان أو الشمائل، الإيمان بذلك من جملة الإيمان باليوم الآخر.

ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنَّة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها.

(الحساب من أعظم أمور الآخرة)

(**ويحاسب الله الخلائق**) الإيمان بالمحاسبة على الأعمال حسناتها وسيئاتها وعددها من جملة الإيمان باليوم الآخر.

والحساب من أشهر وأهم وأعظم أمور الآخرة، فإن الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان يشمل الإيمان بالمحاسبة.

(خلو الرب بعبده المؤمن)

(**ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه**) وخطاياه، حتى يقر بها ويعرفها، يقول: فعلت في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا.

(**كما وصف ذلك في الكتاب والسنّة**) وعلى تفاصيلِ في الخلوة، فيستر ويغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله.

ومحاسبة المسلمين تتضمن: وزن حسناتهم وسيئاتهم وتوقيفهم على سيئاتهم، فصارت المحاسبة تتضمن: تقريرهم ومجازاتهم.

والمسلمون بِعَرْضَةِ المجازاة عليها، عدلٌ بالنسبة إلى السيئات، والعفو عنه تجاوزاً.

(محاسبة الكفار)

(**وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها**) أنهم فعلوها (**ويجزون بها**) فلا يُعذَّبُ أحدٌ إلا مقراً

....

معترفاً بذنبه، حتى تنطق أبعاضهم بذلك من كمال عدله.

هذه المسألة ـ المحاسبة للكفار ـ:

من أهل العلم من قال: ليس لهم حسنات يحاسبون عليها.

ومنهم من قال: يحاسبون كما يحاسب المسلمون.

والإطلاق في الطرفين غلط، لا يصح إطلاق أنهم يحاسبون، ولا يصح إطلاق أنهم لا يحاسبون، فالذي يُثْبِت أنهم يحاسبون ويُطْلِق، يتناول أنهم يحاسبون مثل المسلمين الذين توزن حسناتهم وسيئاتهم واحدةً واحدة، وكذلك إذا قيل إنهم لا يحاسبون، فإن هذا الإطلاق يشمل أنهم لا تعد أعمالهم ولا تحصى.. الخ، وإن لم يقصده القائل.

فالصحيح: قول المصنف المتقدم.

وأما المسلمون فيحاسبون؛ لأن لهم حسنات صحيحة ثابتة، فمن زادت حسناته دخل الجنة، ومن نقصت: إما أن يعفو الربّ ويتجاوز عنه، أو يعذبه على قدر سيئاته.

وفي عرصات القيامة: الحوض المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

(**وفي عرصات القيامة**) العرصات: جمع عرصة، والعرصة المجتمع فيه سعة وانفساح، ومنه عرصة الدار وهو المتسع الذي حواليها الذي يراد للاجتماع فيه، ومنه قول الشاعر:

فلما حوتها عرصة الدار سلمت ....[1]

وعرصات القيامة: متسع القيامة وهي المواضع التي يجتمع فيها الخلق، وهي الأرض كلها، تُمد مد الأديم العُكَاظِيّ.

(حوض النبي ﷺ المورود)

(**الحوض المورود للنبي ﷺ**) والحوض الكوثر لنبينا محمد ﷺ، وجاء في الحديث صفته وآنيته والشرب منه وأهل الشرب.

(**ماؤه أشد بياضاً من اللبن**).

(**و**) طعمه (**أحلى**) طعماً (**من العسل**).

و(**آنيته**) التي عليه (**عدد نجوم السماء**).

مسافةُ (**طوله شهر، وعرضه شهر**).

(**من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً**) يعني يستمر به رِيُّه

---

(١) القائل أحمد بن مشرف وتمام البيت:

فلما حوتها عرصة الدار سلمت   سلام حبيب زائر ذي تودد

ديوان ابن مشرف ص ٢.

....

أبداً لا يظمأ حتى يدخل الجنة، فإذا دخل الجنة فَرِيًّ على رِيٍّ، وأحاديث الحوض معلومة كثيرة شهيرة ثابتة عن النبي ﷺ.

فالإيمان بالحوض وصفاته المذكورة من الإيمان باليوم الآخر كما سبق لكم، فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت.

والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يَمرُّ الناس عليه على قدر أعمالهم،

(الإيمان بالصراط ونصبه على متن جهنم)

(والصراط منصوب على متن جهنم) الإيمان بالصراط، والإيمان بنصبه على متن جهنم من الإيمان باليوم الآخر.

(وهو الجسر الذي بين الجنة والنار) الصراط: هو الطريق، وسمي الصراط طريقاً؛ لأنه يُعبر منه إلى الجنة. يَمر على وسط النار حتى ينتهي إلى الجنة، ولا يُمرُّ إلى الجنة إلا منه، والصراط صراطان: حسي وهو هذا، ومعنوي وهو في الدنيا.

(يَمرُّ الناس عليه على قدر أعمالهم) والثبات على الحسي حسب الثبات على المعنوي في الدنيا، وجاء في الأحاديث أنه أَدقُّ من الشعر، وأَحدُّ من السيف، وأَحرُّ من الجمر، وأنه دحض مزلة.

والقوى الحسية لا استطاعة لها على المرور عليه، لا يمر معه إلا بالقوى المعنوية الإيمانية، وهو بحسب الاستقامة على هذا الصراط المعنوي في الدنيا.

والمرور عليه على حسب الأعمال ثباتاً وسقوطاً، وسرعة وإبطاء، واستقامة سواء بسواء، ولهذا قال: «على قدر أعمالهم»، لا على قدر أجسامهم، كما أن الصراط في الدنيا أحظى الناس به أقواهم إيماناً لا أجساماً.

(أقسام الناس في المرور على الصراط)

والناس في سرعة المرور عليه على أقسام، فأهل السير: هم الذين استقاموا على الطريق المعنوي ولم يتثاقلوا عنه.

فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم،

(فمنهم من يمر) عليه **(كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف)** حتى إن منهم من إذا عبر خُطف خطفاً **(ويلقى في جهنم)**.

(فإن الجسر) الصراط **(عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم)** قد حف به كلاليب، هو مثل السير على الصراط المعنوي، وهي شُبهُ الترددِ والتثاقل والسير بالهوينا، فكما أن الكلاليب في هذا الصراط المعنوي في الدنيا من الشبهات والشهوات تخطفهم، فتلك الكلاليب تخطف الناس على قدر ما تخطفهم الشبهات والشهوات في تلك الأعمال وبسبب الأعمال، فكما خطفتهم في الدنيا خطفتهم في الآخرة، ومن خُطف سقط في جهنم.

فمن مر على الصراط دخل الجنَّة، فإذا عبروا عليه، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أُذِن لهم في دخول الجنة.

(**فمن مر على الصراط دخل الجنة**) بكل حال ولا يرد إلى النار أبداً.

والظاهر أن المرور إنما هو لأهل الإسلام، وأن الذي يخطف هو صاحب المعاصي والشبهات والشهوات؛ لأن الكفار لم يدخلوا في هذا الصراط المعنوي في الدنيا.

(الوقوف على القنطرة والحكمة من ذلك)

(**فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة**) الظاهر أنها جسر يقفون عليه (**بين الجنة والنار**).

والسر في الوقوف على هذه القنطرة: (**فيُقتص لبعضهم من بعض**) فإنه لا بد من أخذ الحقوق فلا أحد يدخل الجنة أو النار حتى تؤخذ الحقوق التي له، أو التي عليه ويؤديها، فلا يدخلونها من تلك القنطرة حتى يهذبوا وينقوا.

(متى يدخل أهل الجنة الجنة؟)

(**فإذا هذبوا ونقوا**) من درن الذنوب وأرجاس المعاصي ويصلحون لمجاورة الربّ الكريم في دار الخلد.

(**أُذن لهم في دخول الجنة**)؛ لأن الجنة دار طيبة في جوار الطيب سبحانه، ولا يدخلها إلا طيب، كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ فالفاء للسببية فلا يدخلها أحد عنده دَرَنٌ: ذنب أو مظلمة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمَّد ﷺ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته.

(أول من يطلب فتح باب الجنة ودخولها نبينا محمد ﷺ)

(وأول من يستفتح باب الجنة) يعني يطلب فتحها ودخولها نبينا **(محمد ﷺ)**، فلا أحد يطلب ويسأل فتحها ليدخل فيها قبل نبينا محمد ﷺ.

(وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته)، فإنها أول الأمم دخولاً وإن كانت آخرها وجوداً، كما عرف ذلك من الأحاديث الصحاح، كما في قوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»[1]، وذلك لأن الله شرع لهذه الأمة أعمالاً لم تشرع لمن قبلهم تفضلاً عليهم بأن كانوا هم أول الأمم دخولاً الجنة، وليس أنهم أكثر الأمم أعمالاً، ففي هذا فضيلة هذه الأمة كونها آخر الأمم وجوداً وأولها دخولاً الجنة.

---

(١) رواه البخاري ١/٢٩٩، رقم ٨٣٦، ومسلم ٢/٥٨٥، رقم ٨٥٥.

وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات: أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء ـ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ـ عن الشفاعة، حتى تنتهي إليه.

(الإيمان بالشفاعات)

(وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات) اشتقاق الشفاعة من الشفع خلاف الوتر، والشفع: الاثنان، سُمي شفعاً لأن طالب الحاجة يكون اثنين بعد أن كان واحداً.

والإيمان بالشفاعات من جملة الإيمان باليوم الآخر.

(شفاعات النبي ﷺ)

وللنبي ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات بالنسبة إلى الشفاعات العمومية، وإلا هناك شفاعات غير ما ذكره المصنف، كشفاعته في عَمِّه لتخفيف العذاب لا إخراجه، فثنتان مختصتان به، وواحدة مشتركة.

(شفاعته الأولى: الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي أوتيه وهي خاصة بالنبي ﷺ)

(أما الشفاعة الأولى: فيشفع) إلى الله **(في أهل الموقف حتى يقضى بينهم)** فيستريحوا من كرب الموقف الذي تقدم من صفته قرب الشمس والعرق.. الخ.

(بعد أن تتراجع الأنبياء ـ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ـ عن الشفاعة) كلٌّ من هؤلاء يعتذر **(حتى تنتهي إليه)**، فيقول ﷺ: أنا لها، قال ﷺ: فيفتح عليّ من المحامد ما لا أحسنه الآن، قال: فيقال اسأل تعط، واشفع تشفع.. الخ، وهي التي في الحديث «وأُعطيتُ الشفاعة»[1]، وهذه الشفاعة العظمى، وهي المقام

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٢٨ رقم ٣٢٨، ومسلم ١/ ٣٧٠ رقم ٥٢١.

....

المحمود الذي أوتيه ﷺ، يعني الذي يحمده الأولون والآخرون، يعني الذي يُغبط به، الذي فيه فضل ومرتبة عليا، فإن هذا المقام ليس لأحد سواه، بل هو مختص به ﷺ.

وقيل: إنه إجلاسه معه على العرش، جاء في الحديث أنه يقعد مع الله تعالى على العرش كما ثبتت به السنّة[1]، ويكون هذا أيضاً من المقام المحمود.

والظاهر أنه لا منافاة بين القولين، فيتقدم فيشفع بإذن الربّ - جل وعلا - في أهل الموقف ليحاسبوا، فإن الربّ تعالى لا يأتي الخلق في الفصل إلا بعد شفاعته ﷺ. فإن أهل الموقف إذا اشتد بهم الكرب العظيم ينظرون ويتراجعون من هو الذي يشفع لنا عند ربنا ليفرج عنا من كرب هذا الموقف فيذكرون أباهم آدم. . الخ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٣٠٥ رقم ٣١٦٥٢، وابن أبي عاصم في السنّة ١/ ٣٠٥ رقم ٣٦٥، وابن جرير في تفسيره ٨/ ١٣٢ موقوفاً على مجاهد.
قال ابن جرير في تفسيره ٨/ ١٣٤: «ما قاله مجاهد من أن الله يُقْعِد محمداً على عرشه، قولٌ غير مدفوعٍ صحتُه، لا من جهة خبر ولا نظر».
وقال شيخ الإسلام: «حدّث العلماء المرضيون، وأولياؤه المقربون، أن محمداً رسول الله يجلسه ربه على العرش معه، رَوى ذلك محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في تفسير: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، وذُكر ذلك من وجوه أخرى مرفوعة، وغير مرفوعة، قال ابن جرير: - وهذا ليس مناقضاً لما استفاضت به الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة. باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه لا يقول إن إجلاسه على العرش منكراً -، وإنما أنكره بعض الجهمية، ولا ذِكرُه في تفسير الآية مُنكَرٌ». مجموع الفتاوى ٤/ ٣٧٤.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنَّة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع

(شفاعته الثانية: في اهل الجنة الذين استوجبوها ان يدخلوها وهي خاصة به ﷺ)

(**وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة**) فإن أهل الجنة الذين استوجبوها بسبب الأعمال الصالحة لا يدخلونها إلا بعد استفتاحها فيشفع لهم (**أن يدخلوا الجنة**) وكذلك أهل الجنة من سائر الأمم.

(**وهاتان الشفاعتان**) الأولى: الشفاعة في محاسبة الخلائق، وهذه الثانية في الذين استحقوا دخول الجنة بفضل الله ورحمته وتوفيقه لهم للأعمال الصالحة في حياتهم وموتهم على الإيمان، (**خاصتان له ﷺ**).

(شفاعته الثالثة: فيمن استحق النار من عصاة الموحدين ان لا يدخلها، ومن دخلها ان يخرج منها، وهي ليست خاصة بالنبي ﷺ)

(**وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار**) من عصاة الموحدين خاصة.

(**وهذه الشفاعة**) هو فيها سيد الشفعاء وأكملهم فيها، وليست مختصة، بل هي (**له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع**) الأنبياء والرسل والأولياء والملائكة والأَفراط وغيرهم ممن أذن الله لهم أن يشفعوا كما جاء في النصوص، وهذه هي التي ينكرها المعتزلة.

وأما أهل السنّة فإن قولهم فيها هو ما دل عليه الكتاب والسنّة، وهو أن أحكامهم في الدنيا حكم المسلمين إن قام عليهم حَدٌّ أقيم

فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

عليهم، وفي الآخرة مُعرَّضون للوعيد ومَخُوْفٌ عليهم، ومع ذلك يؤمنون بالأخبار المتواترة عن النبي ﷺ في الآخرة من الشفاعة للعصاة.

فيشفع (**فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها**) منهم (**أن يخرج منها**) قبل أن يُطهَّروا من أوضار[1] الذنوب، فإذا طُهِّروا أُخرجوا، إذا كانوا ماتوا على التوحيد، كما بُيِّنَ في الأحاديث أن من مات على التوحيد غير مشرك فالشفاعة تتناوله، قال ﷺ: «وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً»[2].

---

(١) الأوضار: الأوساخ. لسان العرب مادة وضر.

(٢) رواه الترمذي ٥/ ٥٨٠، رقم ٣٦٠، وابن ماجه ٢/ ١٤٤٠، رقم ٤٣٠٧.

ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضلٌ عمن دخلها من أهل الدنيا، فينشيء الله لها أقواماً فيدخلهم الجنَّة.

(إخراج بعض عصاة الموحدين من النار بفضل الله ورحمته من غير شفاعة)

(ويخرج الله من النار أقواماً) ممن استحق النار من الموحدين **(بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته)** بمحضِ فضلٍ من الله ورحمته، كما جاءت بذلك النصوص الثابتة عن النبي ﷺ، وذلك لسبق الرحمة الغضب كما في الحديث «إن رحمتي سبقت غضبي»[1].

(ينشيء الله اقواماً لم يعملوا خيراً قط فيدخلهم الجنة ليملأها)

(ويبقى في الجنة فضلٌ عمن دخلها من أهل الدنيا، فينشيء الله لها أقواماً) لم يعملوا خيراً قط، لأنها وُعِدَت ملئها، **(فيدخلهم الجنة)** بفضله ورحمته، كما أن الأولين يدخلون الجنة بفضله ورحمته، أبلغ من أن يعفى عن أناس؛ لأن الجنة وعدت ملئها وليس فيها تضايق كالنار.

(الحكمة من ان الله ينشيء للجنة اقواماً يدخلونها، وان النار بخلاف تلك)

والفرق بين هذه وهذه، مِنْ سَبْقِ الرحمة للغضب من إدخال قوم الجنة بغير شفاعة، وأن النار لا تُدخل إلا بذنوب فتمتليء كما في الحديث:

وهذا لِمَا سَبَق، مِن سَبْقِ الرحمة الغضب، فإن جانب الفضل والرحمة، أغلب من جانب العدل والغضب، وأما النار فلا تمتليء بل لا تزال تطلب الزيادة حتى يكمل أهلها فيها، ولا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله، فينزوي بعضها إلى بعض

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٢٧٠٠، رقم ٦٩٨٦.

....

فيصيرون ملئها بضيق، فتقول: قط قط، ولا ينشيء الله لها كما أنشأ للجنة.

ولنعرف أنه جاء في حديث أبي هريرة انقلاب على بعض الرواة «أنه ينشيء للنار من يشاء فيُلقون فيها» وهذا انقلاب بل صواب الحديث وصحيحه الثابت: «أن الله ينشيء للجنة خلقاً فيسكنهم فضل الجنة».

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة، من الحساب، والثواب والعقاب، والجنَّة والنار، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، والآثارِ من العلم المأثور عن الأنبياء. وفي العلم الموروث عن محمَّد ﷺ، من ذلك ما يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجده.

(تضمن الكتاب والسنّة تفاصيل اليوم الآخر)

(وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة) وما أُعدّ فيها **(من الحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وتفاصيل ذلك)** كلها معلومة **(مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، و)** في **(الآثار من العلم المأثور عن الأنبياء)**.

(وفي العلم الموروث عن) النبي **(محمد ﷺ، من ذلك ما يشفي ويكفي)** مما تضمنه الكتاب والسنّة، بل في القرآن والسنّة أعظم وأكثر مما سواهما من الكتب. بل ما جاء عن النبي ﷺ أشمل مما جاء في الكتب السابقة وأخبار الماضين.

(فمن ابتغاه) فمن تطلَّبه وتتبعه في مظانه فيها **(وجده)** مبيناً موضحاً في كتب التفاسير والسنن والصحاح وغيرها من كتب الحديث، فإن في ذلك من التفاصيل شيء كثير.

وكأن المصنف رأى أنه أَقلَّ في المقام، ولكن المقام لا يتحمل وينبغي أن يُتطلَّب، فأحال بقوله: «وتفاصيل ذلك...» الخ.

وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة بالقدر خيره وشره.

(الإيمان بالقدر)

(وتؤمن الفرقة الناجية) ـ من النار، والناجية من بين الفرق **(أهلُ السنّة والجماعة ـ بالقدر)** وهذا آخر أصول الإيمان الستة المتقدم ذكرها في أول هذه العقيدة المختصرة، وتقدم لك ما يتعلق بالخمسة الأول، وهذا الفصل مما يتعلق بالسادس وهو القدر، والمصنف ـ رحمه الله ـ ذكر الأصول الستة، وما بعد ذلك شرح، منه ما هو ببسط ومنها دون ذلك، فالذي تكلم فيه ووقع فيه النزاع وكثر بين أهل السنّة والمبتدعين أطال فيها، والتي لم يتنازع فيها ذكر منها كالإشارة.

ولم يقل: «فصل ومن أصول أهل السنّة، الإيمان بقدرة الله، والإيمان بكتب الله، والإيمان برسل الله»، وذلك لأن المبتدعة لم يكن لهم كلام فيه ولا نزاع، إنما ذكر الذي فيه النزاع «القدر» مسألة الإيمان به، فإن القدرية النفاة والمجبرة، انحرفوا عن الصراط المستقيم فاحتيج لبعض التطويل في ذلك.

والقدر: من التقدير وهو التهيئة.

(خيره وشره) كما جاء في بعض ألفاظِ الحديث. قدر مقادير الخلائق بما يلائم الخلق من أمور دينهم ودنياهم، جميع ما كان في الأديان والأبدان، والخير والشر، والصحة والمرض، ونحو ذلك، فهو بقضاء الله وقدره. فما من خير في الأديان والأبدان فهو بقضاء الله وقدره، وما من شر في الأديان والأبدان فهو بقضاء الله وقدره.

والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق،

(الإيمان بالقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين)

(**والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة**) واحدة منهما (**تتضمن شيئين**)، فمن آمن بها كلها حقيقة فقد آمن بالقدر، ومن كفر بها أو ببعضها فقد كفر بالقدر.

(الدرجة الأولى: العلم، والشيء الأول منه علم الله السابق للأشياء علماً تفصيلياً)

(**فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون**) من خير وشر، وجارين عليه من خير أو شر.

عَلِمَه (**بعِلْمِه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق**) سعتها وضيقها، (**والآجال**) طول الأعمار وقصرها، والأجسام صحتها وسقمها، وكذا وكذا إلى ما لا يحصى، والآثار، وجميع تفاصيل ما هو صائر منهم عَلِمه بعلْمِه القديم. فعَلِم تفاصيل ما هو صادر منهم وما هو جار منهم، وما هم صائرون إليه.

وهذا الشيء الأول من هذه الدرجة الأولى: الإيمان بعلم الله الأشياء، أنه علمها في الأزل علماً تفصيلياً.

(الشيء الثاني من الدرجة الأولى: الإيمان بالكتابة)

(**ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق**)، والشيء الثاني من الدرجة الأولى: الإيمان بالكتابة، أنه كتب ما هو عالم،

فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ

ورسم أن الخلق عاملوه، ويأتي الشيئان، فتجتمع حقيقة الإيمان بالقدر في هذه الأربعة.

فصار الإيمان بالقدر في الحقيقة ينتظم الإيمان بأربعة أشياء.

(**فأول ما خلق الله القلم**) بالنسبة إلى هذا الكون المشاهد، وإلا فالعرش موجود مخلوق قبله كما في الأحاديث.

(**قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**) هذا من جملة الأحاديث المثبتة للقدر.

(نتيجة الإيمان بالقدر)

(**فما أصاب الإنسان**) مما علم الله وكتبه (**لم يكن ليخطئه**) ولو اجتمع أهل السموات والأرض، (**وما أخطأه لم يكن ليصيبه**) هذا نتيجة وحقيقة الإيمان بالقدر.

(**جفت الأقلام**) التي كتبت بها المقادير.

(**وطُويت الصحف**) على ما كتب فيها، فلا تغيير ولا تبديل (**كما قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾) هذا هو الكتاب الأول، يعني أن ما علمه كائناً من العباد، كتبه في الكتاب الذي فيه المقادير، فأول الآية فيه إثبات العلم السابق، وآخرها فيه إثبات الكتابة السابقة.

إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وقـــال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع، جملة وتفصيلاً، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء،

ثم قال: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾).

(**وقـــال**: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾) قبل أن نبرأ الأرض، وقيل: الأنفس، وقيل: المصيبة، والحقيقة: أنه يعود إليها كلها[1] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

فهذان شيئان تتضمنهما هذه الدرجة.

(أنواع الكتابة)

(**وهذا التقدير**) أي قَدَر الكتابة التي هي الثاني من أنواع القدر (**التابع لعلمه سبحانه**)، فإن الكتابة تابعة لعلمه سبحانه، (**يكون في مواضع**):

(**جملةً**): يعني أنه أقسام وأنواع، بعضها جملة، وبعضها تفصيل لبعض.

(**وتفصيلاً**): منها ما هو كتابته جملة، ومنها ما كتابته تفصيلاً، ولكن ما بعد الجملة يكون تابعاً للجملة.

(الكتاب الأول: الجملة)

(**فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء**) وهذا الكتاب الأول،

---

(١) (عبارة أخرى) «والصحيح: أنه عام في كل شيء».

وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً،

ليس فيه تغيير أبداً، ألا ترى أنه قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هذا هو الجملة، ومن هذه الجملة تفاصيل، منها عند تخليق الجنين.

(الكتاب الثاني: التفصيل)

(وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أم سعيد)، وجاء أنه يقال لمَلَكِ الأرحام: ارجع فانظر إلى قصة هذه النطفة.

(ونحو ذلك) هذا نوع من أنواع التفصيل من الجملة الأولى، وهو راجع إليها.

ومنه ما يكون في ليلة القدر، وكذلك الذي في خبر ابن عباس ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة.. الخ[1]، فهذا كله تفصيل من القدر.

(فهذا القدر) يعني الكتابة **(قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً)** يعني الذين خرجوا في زمن الصحابة كمعبد الجهني، وعمرو ابن

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة، ففي كل مرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾» رواه الحاكم في المستدرك ٢/٥١٦، رقم ٣٧٧١، والطبراني في الكبير ١٠/٢٦٠، رقم ١٠٦٠٥.

....

عبيد وأتباعهما يقولون: لا قدر، يعني أن الأمر أُنُف ـ مستأنف ـ.

(الرد على من أنكر ذلك)

وقال الإمام الشافعي: «ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن جحدوه كفروا».

يعني أن كفرهم من هذه الناحية أشهر، فإنهم إن جحدوا العلم فقد جحدوا سابق علم الله.

ويقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «القدر: قدرة الله»، واستحسنه ابن عقيل.

ومراده أن هذه جملة هامة عظيمة في هذا الباب، وفي ضمنها بطلان ما سلكوه من إنكار أن الله على كل شيءٍ قدير.

ومراد أحمد ـ رحمة الله عليه ـ، يعني: من آمن بالقدرة فإنها حجة على القدر، ومن أنكر قدرة الله على الأشياء فقد أنكر قدر الله، يعني فمن أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله، يعني: وأي شيء يستنكر مِنْ كَتْبِ الله تعالى إذا كان قد علمه فما المانع من الكتابة؟!.

وحديث: «إن الأمر أنف»[1] يعني يستأنف الله ما يقضيه إذا

---

(١) عن يحيى بن يعمر قال: خرجت أنا وحميد بن عبد الرحمٰن الحميري حاجّين، أو معتمرين، وقلنا: لعلنا لقينا رجلاً من أصحاب محمد ﷺ فنسأله عن القدر، فلقينا ابن عمر ﵄، فظننت أنه يكل الكلام إليَّ، فقلنا: يا أبا عبد الرحمٰن قد ظهر عندنا أناس يقرؤون القرآن، يتقفرون العلم تقفراً، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: «فإن لقيتهم فأعلمهم أني منهم بريء، وهم مني براء، والذي يحلف به ابن عمر، لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ثم لم يؤمن بالقدر لم يقبل منه» رواه ابن حبان ١/ ٣٨٩، رقم ١٦٨.

ومنكروه اليوم قليل.

أراده، يعني يجد له قدراً، يعني وأن لا قدر سابق.

«يتقفرون العلم»: يعني يخوضون فيما لم يسبقهم إليه أحد، وفي رواية: «يفقرون» يعني يتكلفون، لكونهم بحثوا فيما لم يتعبد الخلق العلم بها، بل تعبدوا بالسكوت عنها.

(**ومنكروه اليوم قليل**) في زمن الشيخ ومن يليه. فالذين في زمن المصنف نفاة لا ينكرون هذا، بل ينكرون غيره من أنواع القدر، أو المجبرة وهم أكثر من النافية.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون، إِلَّا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد. وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات

(الدرجة الثانية)

(**وأما الدرجة الثانية**) تقدم أن الإيمان بالقدر على درجتين، وتقدمت الدرجة الأولى، وأنها تتضمن شيئين، وأن أحدهما: أن الله عَلِم.. الخ، والثاني: أنه كتب ما علمه في اللوح المحفوظ.. الخ. وهذه الدرجة الثانية، وهي تتضمن شيئين: الأول الإيمان بالإرادة والمشيئة، والثاني: الإيمان بخلق الله الكائنات بقدرته سبحانه وتعالى.

(الشيء الأول من الدرجة الثانية: الإيمان بالإرادة والمشيئة)

(**فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، و**) حقيقة ذلك وإيضاحه: (**هو الإيمان بأن ما شاء الله كان**)، ولا يريد شيئاً إلا يكون بكل حال، (**وما لم يشأ لم يكن**) وهذه كلمة المسلمين ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومقتضى أن ما شاء الله كان، أن ما لم يشأ لا يكون.

(**وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد**) فما من شيء واقع إلا وقد شاءه الله ولا بد، وما لم يشأ فلا يكون أبداً، ولا يكون شيء طاعة أو معصية إلا الله شاءه.

(**وأنه سبحانه على كل شيءٍ قدير من الموجودات**

والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إِلَّا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره ولا ربّ سواه.

والمعدومات) التي لم تفعل والممكن وجوده. أما المستحيلات فليست شيئاً حتى تشمل بالعلم والقدرة.

(الشيء الثاني من الدرجة الثانية: الإيمان بخلق الله الكائنات بقدرته)

(فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه) وموجده، هذا من مضمون ما شاء الله كان.

(لا خالق غيره ولا ربّ سواه) فشاء ما في الكون وأوجده بقدرته ومشيئته، فصار ما في الكون بهذين الشيئين.

فصار الإيمان بالقدر ينتظم أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بعلم الله القديم.

الثاني: الإيمان بأن ما علمه كتبه في السابق.

الثالث: الإيمان بأن ما شاء الله كان.

الرابع: الإيمان بأن ما من موجود إلا الله موجده[1].

فما من موجود من الموجودات إلا وهو مشمول بهذه الأربعة: الإيمان بعلمه تعالى السابق، والإيمان بأن الله كتب في الأزل ما عَلِمه كائناً، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، والإيمان بأنه ما من موجود إلا وهو موجده.

---

(١) (عبارة أخرى): «الرابع: أن الله كون ما في الوجود، أجزاءه وأفعاله وصفاته».

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته.

(القدر لا ينافي الشرع)

(ومع ذلك) يعني ما تقرر لك من الأصل العظيم ـ وهو الإيمان بالقدر، وأنه أحد أركان الإيمان الستة، وما اشتملت عليه الأشياء الأربعة السابقة ـ يأتي بعد ذلك عدم منافاة القدر للشرع، وأنهما أخوان مصطحبان لا ينافي أحدهما الآخر، وأنه ما ضاق به صدرٌ إلا المبتدعة، نظروا بعين واحدة وأغضوا عيناً، أخذوا جانباً من النصوص وتركوا جانباً، وهدى الله أهل السنّة والجماعة فنظروا بالعينين جميعاً وآمنوا بالشرع والقدر جميعاً.

(فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته) ومعصية رسله، فوجب الإيمان بشرعه وقدره جميعاً، بأن يؤمن أن هذا شرعه ويمتثله ويفعله، فإذا امتثل صار من أهل السعادة، والقدر لا حجة فيه، وهو تام وماضٍ، ولا راد له، وسبق أن لا يكون الخلق على طريق واحد؛ بل أن يكون الخلق متفاوتين كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ كجنة ونار لتسكنا، وهو اللائق بجلاله، وسواه ليس بكمال.

(الطوائف في القدر والشرع)

ولا منافاة بين الشرع والقدر، فإنها ضاقت أعطان القدرية ولم تتسع للشرع والقدر جميعاً.

فالقدرية النفاة من المعتزلة وغيرهم أثبتوا الحكمة والشرع وغلوا فيهما، ونفوا القدر أو بعضه، وقالوا: إن الأمر والنهي بيد الإنسان، فإنها زعمت أنها إذا أثبتت القدر صارت معطلة للشرع.

وقابلها طائفة القدرية الجبرية، فغلبت جانب القدر وغلت فيه،

وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

وعطلت جانب الشرع، وقالوا: إن العبد مجبور لا فعل له، وإنما هو كالأشجار في مهب الريح.. الخ.

وأهل السنّة قالوا: له فعل صحيح واختيار صحيح، ويحمد على فعل الخير، ويذم ويعاقب على فعل الشر.

فهدى الله أهل الحق أهل السنّة والجماعة فآمنوا بالشرع والقدر وقالوا: ما في الكون كله خلق لله، فالأفعال فعل للمخلوق، خلقٌ للربّ، فأفعالهم نسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد، ونسبتها إلى العبد نسبة فعل.

فالشرع والقدر متلازمان ولا حجة في القدر على الشرع، بل قد ركز الله في عقول العباد معرفة النافع من الضار، وأحدهم يعرف الضار ويجتنبه، والنافع فيأتيه.

(يريد سبحانه أشياء يحبها وأشياء لا يحبها)

(وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد) ففرق بين المحبة والإرادة لا كما زعمه المبتدعة الذين يقولون: ما شاءه فقد أحبه[(١)]، بل يريد سبحانه وتعالى أشياء

(١) قلت: القدرية النفاة يقولون: لا معنى لمشيئته إلا أمره، فما شاءه فقد أمر به، وما =

....

لا يحبها، وقد أراد كُفْر إبليس وكُفْر الكفار، ومع ذلك لا يحبه لكونه ظلماً وفساداً، فهو سبحانه لا يحب الكافرين، ومع ذلك أفعالهم بقدرته وقضائه، يحبه قدراً ولا يحبه شرعاً، فإنه يحب ذلك ولا يحب المفعول، يحب القضاء والقدر في أهل الشقاء، وما يترتب عليه مبغوض له، فعلمه وقضاؤه كله جميل، والله يحب كل جميل.

= لم يشأه لم يأمر به، والجبرية قالوا: إن مشيئته وإرادته بمعنىً واحد، وقد شاء ما وقع من المعاصي فهو يحبها ويرضاها.
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/ ٣٤٠.

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة،

(العباد لهم أفعال حقيقية والله خالقها)

(والعباد فاعلون حقيقة) إذا عرف ما تقدم من القدر والإيمان به، وعرف أن الله أمر بطاعته وطاعة رسله، وأنه لا تعارض بين القدر والشرع، وأن أهل السنّة آمنوا بهما جميعاً، فاعلم أن العباد لهم أفعال حقيقية تقول: صلَّى زيد، زنى زيد.

(والله خالق أفعالهم) نعم هي منه خلق وإيجاد. ففرق بين الخلق والفعل.

فأفعال العباد لها نسبتان: نسبة فعل وعمل، ونسبة خلق وإيجاد، فنسبة الخلق لله ونسبة الفعل إليهم خلافاً للأشاعرة، عندهم القول بالكسب[1].

(والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم) وإن كان مدبَّراً بل هو حقيقة إذا صلى فهو المصلي، وإذا قتل فهل القاتلُ غير مَنْ فَعَل القتل؟! فالفعل إنما يضاف إلى من باشره، كما تقول: قام زيد، كَفَر زيد، قعد زيد، هذا هو المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فما صدر من المخلوق فهو فعل له، ليس فعلاً لربّ العالمين.

(وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة)، لهم تصور واختيار وفعل.

---

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «كسب القدرية هو: وقوع الفعل عندهم بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته، من غير أن يكون الله شاءه أو أوجده.» شفاء العليل ص ١٢١.

والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وهذه الدرجة من القدر، يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة،

(والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم) كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، فهي لربّ العالمين خلق وإيجاد وتكوين، وللمخلوق فعل وتصور، فهي قضاء الله وقدره، وهي للعبد فعل، فجانب الخلق إلى الله، وجانب الفعل إلى من صدر منه وباشره. كما تقدم وكما يأتي.

ومما يدل على ذلك (قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) دل على أن للعبد مشيئة حقيقية، ودل على أن له استقامة، ودل على أن العبد لا يملكها استقلالاً، فوجود وتصور المشيئة من العبد لا يكون إلا بمشيئة الله. فإرادته تابعة لإرادة الله، ومشيئته تابعة لمشيئة الله.

(القدرية النفاة من المعتزلة وغيرهم، يخرجون أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله، وزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه)

(وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية) أي النفاة من المعتزلة وغيرهم (الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة)، وإنما سموا مجوس هذه الأمة، لمضارعة مذهبهم لمذهب المجوس، لإخراج المجوس بعض مخلوقات الله عن الله، فإن المجوس هم القائلون بالأصلين، النور والظلمة، وأن النور خلق الخير، وأن الظلمة خلقت الشر، فهؤلاء ضارعوهم، أخرجوا أفعال العباد عن أن

ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه، حِكَمَها ومصالِحَها.

تكون مخلوقة لله، ورأوا أن العبد هو الذي يفعل الطاعات والمعاصي ويخلقها، والذي ألجأهم ـ زعماً منهم ـ لإثبات الشرع، غلوٌّ منهم في أفعال العباد. قالوا: لو كانت خلقاً لله لكان ذلك للعبد ظلماً، ويريدون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ باء العوض وهؤلاء مشبهة الأفعال، وضعوا أوضاعاً جعلوا الخالق فيها مثل المخلوق، والباء للسبب كما في الحديث: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله» الحديث[1].

(الجبرية يسلبون العبد قدرته واختياره)

(**ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات**) وهم الجبرية، ويقولون: إن العبد لا فعل له أصلاً، أثبتوا هذه الدرجة من القدر وغلوا فيها.

(**حتى سلبوا العبد قدرته واختياره**) قالوا: لا قدرة له ولا اختيار، فهذا مسلك الجبرية ومنهم الجهمية ومِنْ مَسْلك المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، وإن كان قد رجع عما كان قد قال به أوّلاً، والمنتسبون ليسوا على ما كان عليه، فإنه صرح أنه على مذهب أهل السنّة.

(**ويُخْرجون عن أفعال الله وأحكامِه حِكَمَها ومصالِحَها**) فينفون الحكمة.

---

(١) رواه أحمد ٢/٢٥٦، رقم ٧٤٧٣: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل».

....

والخلاصة: أن القدرية النافية أثبتوا الفعل للعبد ولم يثبتوا أنها خلق لله، وقابلهم المجبرة في ذلك، فالكل منهم رد النصوص من الكتاب والسنّة.

(اهل السنة آمنوا بالشرع والقدر جميعاً)

وهدى الله أهل السنة، فآمنوا بالشرع والقدر جميعاً، ووفّقوا بين النصوص.

فصل

ومن أصول أهل السنّة والجماعة، أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب

(فصــل)

(معتقد أهل السنّة والجماعة في حد الإيمان أنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص)

(ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان) الدين هو الإيمان، من عطف الصفة على الصفة، وفي ذلك مزية وهو أنه يسمى الدين ويسمى الإيمان.

ولنعرف مسألة، وهي أدلة جاءت في القرآن ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ هذا المعدى باللام: التصديق، وما تعدى بالباء فهو الشرعي، وبعضٌ عرفه بأنه تصديق خاص وهو ناقص.

وأهل السنّة لهم عبارات في حد الإيمان نحو خمس عبارات منها: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. وكلها ترجع إلى شيء واحد، ومن أحسنها وأجمعها وأشملها ما عرفه به شيخ الإسلام هنا.

(قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح)

(معنى قول القلب وعمله)

(قول القلب) علمه وتصديقه وإقراره.

(وعمل القلب) عمل القلب انقياده بمقتضى ما أقرّ به من الأعمال القلبية، كالخشية والخضوع والرغبة والرهبة، والتوكل عليه

واللسان والجوارح،

ورجائه ومحبته، وأشياء غير ذلك من أعمال القلوب، فإنه أولاً يصدق ثم ينقاد لما صدق به، وكونه يصدق ولا ينقاد من الحجة عليه كما قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ فلا بد من أن ينقاد ويعمل.

(الفرق بين قول اللسان وعمله)

(و) قول **(اللسان)** نطقه بما يدخله في الإسلام.

(و) أما **(عمله)** فهو نطقه بالشيء الزائد على كلمة الإسلام من أنواع العبادة كالذكر ونحو ذلك[1].

فدخل في ذلك فعل الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات.

فقول اللسان وعمله قسمان:

قسم لا يصح الإسلام إلا به، وهو كلمة الإسلام.

وقسم هو من واجباته ومندوباته ولا يفتقر في صحته إليها.

فالكل من الإيمان، كل خصلةٍ إيمان، وسواء كان من الظاهر أو الباطن.

وهذا الحد عرفتَ أنه شامل الإسلام، فإنه ما من خصلة من خصال الإيمان، إلا وهي داخلة في الإسلام.

(معنى عمل الجوارح)

(و) عمل **(الجوارح)** ظاهر، كالمشي بالرجل إلى الصلوات،

(١) (عبارة أخرى): «وعمله: انقياده».

وإعطاء اليد في الصدقات، وما يعمل بالأركان من صلاة وحج، وغير ذلك من الأعمال الظاهرة من البدن، فدخل في هذا الحد جميع الطاعات من فرض ومندوب، والانكفاف عن جميع المحرمات، فترك خصلة من المحرمات من الإيمان، وعمل خصلة من الواجبات من الإيمان، والمندوبات من مندوباته، وهذ الحد يوافق عليه المعتزلة والخوارج، خلافاً للمرجئة من أعظمهم الجهمية.

ومرجئة الفقهاء أقل ما فيها أنها بدعة، ويعد منهم أبو حنيفة عرَّفوا الإيمان بالنطق بالشهادتين والتصديق.

(الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)

(وأن الإيمان يزيد بالطاعة) بفعل الطاعات **(وينقص بالمعصية)** وينقص بفعل المعاصي.

وزيادته ونقصانه تارة من جهة الشرع، وتارة من جهة العامل، وتارة لا من هذا، ولا من هذا.

فالأول: إذا شُرِّع شيء صار من الإيمان وزاد بذلك وقت التشريع. فالذين ماتوا من المسلمين في أول الهجرة آمنوا بالإيمان جميعه، والذي نزل بعد ذلك زيادة في الإيمان.

ومن جهة العامل: إذا زاد خصلة من خصال الإيمان زاد إيمانه، وإذا عصى نقص إيمانه.

والثالث: المرأة إذا حاضت، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال:

فذلك من نقصان دينها»[1] ولا تأثم عليه، فهذا نقصان من الإيمان الواجب، ومع ذلك هو نقص ولا تأثم، وتارة نقصانه بالمعاصي كما تقدم.

ويتبعض ويتجزأ وهذا هو الذي عليه أهل السنّة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا الحد مختص بقول أهل السنّة والجماعة.

وخالف في ذلك المرجئة والجهمية، والمعتزلة والخوارج.

فالمرجئة والجهمية يقولون: هو تصديق فقط، أو قول فقط، أو هما معاً، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ، ولا يدخلون أعمال الجوارح في مسمى الإيمان، فإيمان جبريل وفرعون سواء.

والنصوص من الكتاب والسنّة ظاهرة أنه منه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم لبيت المقدس.

(الإيمان عند المعتزلة والخوارج)

والمعتزلة والخوارج يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ، فمن أتى بمعصية يكفر ويخرج من الإيمان، وهم يجعلون العفو ذنباً، والذنب كفراً.

المعتزلة والخوارج يوافقون المرجئة والجهمية في أنه لا يزيد ولا ينقص، وبنوا عليه أصلاً وهو أنه إذا زال زال بالكلية، وإذا وجد وجد بالتمام، ويوافقون أهل السنّة والجماعة في أنه قول وعمل، ويخالفون أهل السنّة في أنه يتبعض ويتجزأ.

---

(١) رواه البخاري ١/١١٦ رقم ٢٩٨.

....

وأهل السنّة يقولون: إنه يزيد من ناحية الصلاح والتصديق، ـ من ناحية العمل وما في القلوب ـ، فالتصديق الذي في قلب أبي بكر ليس مثل غيره.

وكذلك النقصان من ناحية المعاصي، نظير البصر، زَيْدٌ مثلاً يعرف فلاناً من نصف كيلو، وعمر يُميِّز أنه رجل لا امرأة، وخالد يرى الشخص لكن لا يميز أرجل أو امرأة.

وأدلة الزيادة والنقصان في القرآن معلومة، والسنّة كذلك، منها: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين»[1].

فالإيمان يكسب القلب ليناً لأجل كمال حياته فيزيد، والمعصية تُظلِم بالقلب فيقسو فينقص الإيمان، وفي الآية ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

(١) رواه البخاري ١/١١٦، رقم ٢٩٨، ومسلم ١/٨٦، رقم ٧٩.

وهم مع ذلك، لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال تعالى ـ في آية القصاص ـ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ

(أهل السنّة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج)

(**وهم**) أهل السنّة (**مع ذلك**) مع القول بهذا الحد (**لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر**) يعني كونه تصدر منه معصية أو معاصٍ فليس كافراً بذلك.

فعند أهل السنّة: أن من خصال الإيمان ما يزول كله بزوالها، كأركان الإسلام والإيمان.

ومنها ما يزول كماله الواجب، كفعل بعض المعاصي والكبائر التي لا توصل إلى الكفر.

ومنها ما يزول كماله المندوب بترك مندوبات الإيمان.

فالأعمال مع الإيمان بمنزلة الشجرة إذا زال الأصل زالت الشجرة وكذا الإيمان، فإن قطع شيء من أوراقها وأغصانها كانت ناقصة، فهي بعد ذهاب الورق شجرة، وبعد ذهاب الأغصان شجرة، لكن كاملة وناقصة.

(**كما يفعله الخوارج**) بناءً على أصلهم السابق أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ، فبزوال خصلة منه يزول كله، فيخرج من ربقة الإيمان فيكفرونه بمطلق المعصية أو الكبيرة.

(الرد على الخوارج)

(**بل الأُخوَّة الإيمانية ثابتة مع**) وجود (**المعاصي**) منهم (**كما قال تعالى ـ في آية القصاص ـ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ**

بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾) سماه أخاه مع وجود القتل، وجعل الأُخوَّة الإيمانية بينهما، (وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾) وكذلك سماهم إخوة لهم مع وجود التقاتل، فدل على أن الأخوة الإيمانية ثابتة مع وجود المعاصي، فظهر بهاتين الآيتين وأمثالهما ضلال الخوارج وأمثالهم.

ومن جملة ما استدل به الخوارج قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية وأشباهها.

والرد على الخوارج من غير ما تقدم: أنه كان في زمن النبي ﷺ مَنْ صدر منه معاصٍ من الزنا والسرقة والسكر وغير ذلك، وثبتت لهم أحكام الإسلام من توريثهم، ومن دَفْنهم مع المسلمين، ومن الصلاة عليهم، وغير ذلك، ولم يكونوا كفاراً.

وهذا من أعظم الضلال تكفير عصاة الموحدين، وأن الإيمان لا يقبل التبعض والتجزأ.

ولا يسلبون الفاسق الملي الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة

(أهل السنّة لا يسلبون عصاة الموحدين اسم الإيمان بالكلية)

(ولا يسلبون الفاسق الملي) ـ الذي من أهل ملتنا وهو فاسق ـ اسم **(الإيمان بالكلية)** لا يسلب اسم الإيمان بالكلية ويقال: ليس بمؤمن كما تقوله المعتزلة.

المعتزلة يقولون ـ بأصل الخوارج ـ: إنهم خرجوا من الملة، تتفق مع الخوارج في خروجه من الإيمان، ولكن الخوارج يقولون: يخرج من الإسلام والإيمان، ويدخل في الكفران.

والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ويقفون، يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وردوا بذلك نصوص الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وأهل السنّة بخلاف القولين: ـ القول بخروجه من الإيمان والوقوف، والقول بدخوله في الكفر، بريئون من مقالة الطائفتين ـ، ويقولون: إنه تحت المشيئة كما في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فعصاة الموحدين تحت المشيئة، إن شاء الربّ عذبهم على قدر جرائمهم وطهرهم منها، وإن شاء تجاوز وعفا وسمح عنهم وأدخلهم برحمته الجنة.

(ولا يخلدونه في النار)

(ولا يخلدونه في النار) أهل السنّة لا يقولون: بخلوده في النار **(كما تقوله المعتزلة)** والخوارج، فالمعتزلة متفقون مع الخوارج في حكمه في الآخرة أنه مخلد في النّار.

وهذه المسألة يقال لها: مسألة أسماء الدين وأحكامه.

وحد الإيمان سبق لك ما هو حدُّه عند أهل السنّة وعند الخوارج

بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾،

والمرجئة. وتقدم أن الأخوة تبقى معهم ولو على المعاصي.

(الفاسق الملي لا يخرج من الإيمان بالكلية، ولا يدخل في الإيمان المُثنى به)

(**بل الفاسق**) الملي، الذي يجاهر بالمعاصي ويكابر بها، يحكم عليه بالفسق ويتغلظ بحسبها، ومن تكرر منه حبس عليها (**يدخل في اسم الإيمان المطلق**) لا كما يقوله هؤلاء، ولا هؤلاء.

(**كما في قوله**: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾) ووجه دلالتها أنه لو أعتق رقبة فاسقة ذات معاصٍ، أجزأت بإجماع أهل العلم، فصار داخلاً في هذه الآية وهو قوله: ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾.

(**وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق**) لعصيانه (**كما في قوله تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾) فإن الفاسق الملي لا يَجِلُ قلبُه، وليس ممن إذا تليت عليه الآيات زادته إيماناً على الحقيقة، فما دخل في الإيمان الذي يستحق أن يثنى عليه ويمدح به، إنما يثنى على من أتى بالإيمان الكامل. فالفاسق ما دخل في هذا، إذ لو كان ممن إذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما دخل في المعاصي.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي القرآنية السمعية ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فلم يدخل في هذا، فإنه ليس بمؤمن الإيمان المطلق.

فالفاسق لا يخرج من الإيمان بالكلية، وإن خرج من الإيمان

وقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان،

المُثْنَى به لا يخرج عن الثاني وهو مطلق الإيمان، والمُثْنَى به هنا هو الواجب، فإيمانه ناقص، إذ لو كان مؤمناً الإيمان الواجب لزجره عنها، فإنه لم يباشرها إلا عن نقص إيمانه.

(**وقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**) فهذا الحديث فيه نفي الإيمان عن أهل الكبائر.

قول بعض السلف: «إن الإيمان يخرج كالظلة فوقه» المراد به: خرج ما يستحق به الثناء عليه.

(العاصي يقال له: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته)

(**ونقول**) كأن قائلاً قال: إذا كان الفاسق قد يدخل في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، فهل تقولون إنه مؤمن، أو تقولون: إنه كافر؟

فنقول: لا نقول: إن العاصي كافر، ولا نقول: إنه مؤمن ويُطْلَق بل يقيد، فنقول: (**هو مؤمن**) في الحكم وإثبات أصل الإيمان له، (**ناقص الإيمان**) لنقصه بعض واجبات الإيمان، فلا يستحق أن يثنى عليه به، لا نفيٌ لأصل الإيمان عنه.

أَو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

(**أو**) نقول: (**مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته**) ونكون قد خرجنا من بدعة الخوارج الذين يقولون هو كافر، ومن بدعة المرجئة الذين يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان، فنصير وسطاً بينهم.

فالزاني والسارق مثلاً يقال: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من الفسق أو الكبيرة، إحدى هاتين العبارتين.

وبعض السلف قالوا: نقول إنه مسلم، ولا نقول: إنه مؤمن، وهذا يشبه أن يكون عدم تعرض للمسألة وحياداً عنها، والذي ذكره شيخ الإسلام تصريح فيها، وهو أحسن.

(**فلا يعطى الاسم المطلق**) ويقال: مؤمن ويسكت، (**ولا يسلب مطلق الاسم**) فيقال: ليس بمؤمن ويسكت.

أما قول: ليس بمؤمن، فهذا ظلم وهضم لحقه وتعد عليه، لأن معه أصل الإيمان.

وإن قيل: هو مؤمن، فهذا إعطاء له ما ليس بحق له، وهو لا يستحق أن يثنى عليه به، وإدخالٌ له في آية المدح: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهو ليس كذلك.

فدخوله في الإيمان باعتبار، وعدم دخوله باعتبار، فبذلك يكون هذا القول جامعاً بين النصوص جميعاً، وموافقاً للكتاب والسنة.

ولعل قائلاً أن يقول: كيف يدخل الفاسق في الآيات في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق.

فيقال: إن آية ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على وجه إثبات الإيمان له، لا على وجه المدح والكمال.

وعدم دخوله في آية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنها على وجه المدح والكمال كما تقدم.

والضابط: أنه إذا ذكرت الآيات التي فيها الأحكام، فالمطلق يدخل فيها.

فصل

«ومن أصول أهل السنَّة والجماعة، سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ»

فصل

(من أصول أهل السنّة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم للصحابة ﷺ)

(ومن أصول أهل السنة والجماعة، سلامة قلوبهم) وطهارتها لأصحاب رسول الله ﷺ، سلامة قلوبهم من الغل والحقد، والبغض والعداوة، واعتقاد السوء في الصحابة.

(و) سلامة (ألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ) فألسنتهم سالمة من أن تتلوث بالطعن والوقيعة في أعراض أصحاب رسول الله ﷺ، بل هم أحب طائفة إليهم.

(مذهب الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ)

يعني: خلافاً للروافض الذين قلوبهم مفعمة من بغض أصحاب رسول الله ﷺ وعداوتهم، وألسنتهم مسلقة في سبّ أصحاب رسول الله ﷺ، فمن مذهب الروافض تكفير أصحاب رسول الله ﷺ إلا بضعة عشر.

فمذهبهم في أصحاب رسول الله ﷺ أشنع مذهب وأفظعه، ولهذا صاروا أشر من اليهود والنصارى في هذا الباب، فإنهم لو سئلوا مَنْ شركم؟ لقالوا: أصحاب محمد ﷺ، واليهود لو سئلوا من خيركم؟ لقالوا: أصحاب موسى، والنصارى لو سئلوا من خيركم؟ لقالوا: أصحاب عيسى.

كما وصفهم الله في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ

(كفر الرافضة)

وذهب بعض أهل العلم إلى تكفير الروافض، واستدل بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾.

هذا التكفير في بدعة التفضيل من دون بدعة التخوين، وأيضاً هناك شيء آخر وهو عبادة الأوثان ـ والعياذ بالله ـ.

(أهل السنّة والجماعة يمتثلون ما وصفهم الله به من سلامة قلوبهم للصحابة)

(**كما وصفهم الله**) يعني: أهل السنّة والجماعة بسلامة قلوبهم (**في قوله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾) يعني: من بعد المهاجرين والأنصار.

فمن بعد البعثة المسلمون على ثلاث طبقات: مهاجرين، وأنصار، وتابعين إلى يوم القيامة، فمن صفة الطبقة الثالثة: أنهم (﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾) فإن الآية الأولى في المهاجرين ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، والآية بعدها في الأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾، فأثنى الله على من جاء بعد المهاجرين والأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

فهذا وصف أهل السنّة وهذه مقالتهم، يدعون للصحابة بالمغفرة كما يسألونها لأنفسهم، فمدحهم الله بهذه المقالة، وهي

باقية في أهل السنّة إلى يوم القيامة، والرافضة ليسوا كذلك، بل يقعون فيهم أشد الوقيعة، بل يكفرونهم إلا النفر القليل.

ولهذا استدل مالك بالآية على منعهم الفيء.

ثم وصفهم بقوله: (﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) والغل في قلوب الروافض، حتى ـ صاروا في هذا الباب ـ يظهر منهم عند ذكر الصحابة من الأقوال والأعمال مضحكات من شدة الغيظ في قلوبهم. وبهذا ينبغي لولاة الأمور أن لا يجعلوا لهم رفادة ولا شيئاً أبداً، اللهم إلا أن يزول رفضهم أولاً، بما يُظهِرون أولاً، فيُعْطون.

(أهل السنّة والجماعة أشد الناس طاعة للنبي ﷺ في محبة الصحابة)

(**وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي»**) والخطاب مع مَنْ؟ مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وأصحابه في قصة بني جذيمة، لما قتلوا مَن قتلوا، ـ ظناً منهم أنهم لم يسلموا ـ، أنكر عليه عبدُ الرحمٰن ابن عوف رضي الله عنه قتلَه لهم، فسبه خالد، فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي» يعني عبد الرحمن بن عوف، مع أن خالداً وأصحابه من الصحابة، لكن عبد الرحمن أسبق صحبة، فما الظن فيمن بعده في الزمن والفضل؟!

فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

(فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل) جبلِ **(أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم)** من البر ونحوه ينفقه **(ولا نصيفه»)** لغة في النصف، وذلك أن تفاوت الأعمال إنما هو بالنسبة إلى ما في القلوب، لما فيها من صريح الإيمان والصدق ما لا يكون لمن بعدهم.

فلأجل الآية، ولأجل طاعة النبي ﷺ في هذا الحديث، الذي فيه أعظم تغاير بين الصحابة ومن بعدهم، كان مسلك أهل السنّة في الصحابة هو ما تقدم.

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنّة والإجماع، من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل،

(فضائل الصحابة عامة وخاصة)

(**ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنّة**) المطهرة (**والإجماع، من**) مناقب الصحابة و(**فضائلهم ومراتبهم**)، وفضائل الصحابة جمة، جاءت نصوص عامة لجميعهم، وجاءت نصوص خاصة، منها ما هو تفضيل لهم عموماً، ومنها خصوص طائفة على طائفة بالتفضيل، مثل المهاجرين فضلوا على الأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ومنها ما هو تفضيل أشخاص على أشخاص، وأهل السنّة يقبلون ذلك كله ويعرفون لكل واحد من الصحابة فضله.

(من انفق من قبل الفتح وقاتل، افضل وارفع ممن انفق من بعده وقاتل)

(**ويفضلون**) من الصحابة (**من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ**) سماه الله فتحاً، فإن الناس دخلوا في الدين، وكانوا في غزوة بيعة الرضوان ألفاً وأربعمائة، وبعدها كانوا نحواً من عشرة آلاف، فإن الصحابة لما اجتمعوا بالكفار وبينوا لهم وقاتلوا كانوا أفضل ممن أنفق من بعده وقاتل.

فمن كان قبل صلح الحديبية من الصحابة بادروا ولم يبالوا بكثرة الأعداء، فأنفقوا وقاتلوا مع الشدة والقلة، وبذلوا المهج والنفس والنفيس، ومَنْ بعدهم أنفقوا وقاتلوا، ولكن مع الكثرة والقوة فبهذا كانوا أفضل.

فالأولون في ضيق العيش وشدة العدو وقلة النصرة.

فهذا جنس المراتب، فجنس من أنفق من قبل الفتح (**وقاتل**)،

على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار،

أفضل وأرفع (**على من أنفق من بعده وقاتل**)، لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ فهؤلاء أفضل.

ومنهم السابقون، وإنما كانوا أفضل، لأنهم كانوا سابقين، ولأنهم اختاروا الإسلام وقت القلة والشدة، ففرق بين من دخل في حال الضيق والشدة، ممن قد كثر الناصر والداخل في الدين، فإن النبي ﷺ حين صالح أهل الحديبية ليئتمن الناس، فدخل بذلك خلق كثير، ولهذا كان ما بين صلح الحديبية وبين فتح مكة سنتان، وفي الحديبية عددهم ألف وزيادة، وفي فتح مكة عشرة آلاف.

(المهاجرون أفضل من الأنصار)

(**ويقدمون المهاجرين على الأنصار**) أهل السنّة يرون أن الكل له فضيلة وخير، ولكن يرون أن المهاجرين أفضل؛ لأن الله قدم المهاجرين على الأنصار في مواطن الثناء عليهم في عدة آيات - والله لا يقدم إلا الأفضل - كما في سورة الحشر، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم أهل المدينة، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وإنما قدموا المهاجرين لأجل النصوص، فالمهاجرون أقدم في الفضيلة لكون الله قدمهم، فالتقديم يفيد التفضيل كما تقدم، والحكمة في ذلك أنهم باشروا من الشدائد ما لم يباشره الأنصار،

ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

ولكونهم فارقوا مألوفاتهم من المساكن والأوطان والأموال والعشائر وغير ذلك، كله نصرة لله ورسوله، وبعضهم فارق والديه كما في قصة سعد وقصتهما معروفة.

والأنصار آووا المسلمين ونصروهم بالمال والأبدان، ولكن في أوطانهم وعشائرهم فكانوا في الفضل دون المهاجرين، فبهذا يعرف سبب تفضيلهم وسبقهم أيضاً رضي الله عن الكل وأرضاهم.

(لأهل بدر رتبة عالية)

(ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر) وبدر: ماء معروف غير بعيد من المدينة، وجرت فيه الوقعة الشهيرة، وهو المذكور في الآية الكريمة.

(وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر) الذي شهدها من الصحابة هم هذا العدد.

(اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) يعني: فيؤمنون بأن النبي ﷺ قال ذلك، وبأنهم ممتازون بالفضيلة على غيرهم من الصحابة، فهي رتبة عالية لشهودهم هذا المشهد الكبير الذي فرّق فيه بين الحق والباطل.

(معنى مغفرة الله لأهل بدر)

لكن لا بد من معرفة معنى ذلك، فليس معناه عند أهل العلم أنه مرخص لهم في الكفر والمعاصي، لكن من ثواب الله لأهل بدر أن المعاصي المتجددة إذا وقعت من أحدهم فإنه يوفق للتوبة، وكذلك توفيقه للحسنات، كله من ثواب الله، فهذا معنى التكفير في باقي العمر بعد ذلك.

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ.

بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه،

فلا تظن أن الواحد من البدريين مأذون لهم في المعاصي، بل إيمانهم أعظم من غيرهم، وعصيان من انقطع إلى الله أعظم؛ لامتيازه بالمعرفة، والشكر في حقه آكد، لكن مغفرة ذلك من أجل ما جرى على أيديهم من النفع، أي وما عملتم من عملٍ لا يصل إلى الكفر مغفورٌ لكم، والكفر لو قدر وجوده من بدري حبط عمله، وهم متفاوتون في الأجر، فلِعُمَر من سنامه ما ليس لغيره.

(أهل السنّة والجماعة يؤمنون بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)

(و) كذلك أهل السنّة والجماعة يؤمنون (**بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**) وذلك سنة ست، فلما صَدَّ المشركون النبي ﷺ عن البيت وهم هذا العدد، أخذ النبي ﷺ عليهم أن لا يفروا، فبايعوه تلك البيعة فرضي الله عنهم، (**كما أخبر به النبي ﷺ**) في قوله: «لا يدخل النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة»، وهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان.

أما قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فالمراد المرور على الصراط، فإنه منصوب على متن جهنم؛ وجميع الخلق يعبرون عليه، فالورود أعم من الدخول، فالدخول أخص، فلا يلزم من الورود الدخول.

(كل من بايع تحت الشجرة في الحديبية فإن الله قد رضي عنه)

(**بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه**) كل منهم قد رضي الله عنه، وغير خافٍ أن الرضا درجة فوق المغفرة كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ

وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ المعروفة في صلح الحديبية، فإن النبي ﷺ في سنة ست خرج قاصداً مكة في ذي القعدة معتمراً، ولما بلغه أن قريشاً يريدون أن يصدوه عن العمرة، عزم على أن من قاتله أن النبي ﷺ يقاتلهم، فبايعهم تحت الشجرة على ألا يفروا إذا لقوا قريشاً في مكة، فصالحهم النبي ﷺ أن يعتمر من القابلة.

المقصود أنهم بايعوه تحت الشجرة (**وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة**) فيؤمن أهل السنّة أن الله رضي عنهم.

فهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان لهم مزية على من لم يحصل له ذلك، هذه فضيلة عمومية لأهل بيعة الرضوان، كما أن موقعة بدر عمومية لأهل بدر على غيرهم، وكذلك فضيلة المهاجرين على من ليسوا مهاجرين كذلك، ومنها باعتبارِ تفضيل العشرة، فهي خاصة لهم بالنسبة إلى غيرهم وعامتهم.

وفي الصحابة من له فضائل خاصة به، كأبي بكر وعمر وغيرهم، وكذلك الملازمون له في الصحبة، وهذا غالب فيهم ليس في كل فرد منهم، بل من اجتمع بالرسول ﷺ ولو لحظة وهو مؤمن به فإنه من الصحابة.

ونشهد بالجنَّة لمن شهد له رسول الله ﷺ، كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس،

(مسألة الشهادة بالجنة والنار)

(ونشهد بالجنة) بالتعيين **(لمن شهد له رسول الله ﷺ)** هذا أصل من أصول أهل السنّة، لأنه شهد له الرسول بوحي من الله فنجزم. وبشهادة المعصوم له عُرِف أنه لا يأتي عليه ما ينقض هذه.

(كالعشرة)، جاء في بعض الأحاديث تعدادهم في حديث واحد ومتفرقة، والعشرة هم: أبو بكر الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد ابن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وطلحة، وأبو عبيدة، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة[(١)].. الخ فنشهد ونجزم أنهم من أهل الجنة.

(وثابت بن قيس بن شماس) وله قصة شهيرة، فإنه كان يخطب للنبي ﷺ، وكان ثقيل السمع ولما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية خشي أن يكون ممن يرفع صوته في القرآن فاحتبس في بيته يبكي، ففقده النبي ﷺ وسأل عنه، فقيل له: إنه لما نزلت هذه الآية احتبس في بيته وخشي أن يكون ممن رفع صوته فحبط عمله وأنه من أهل النار، فأرسل إليه النبي ﷺ وبشره بالجنة وقال: «أخبروه أنه من أهل الجنة»[(٢)].

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/ ١٩٣ رقم ١٦٧٥.

(٢) رواه البخاري ٣/ ١٣٢٢، رقم ٣٤١٧، ومسلم ١/ ١١٠، رقم ١١٩.

وغيرهم من الصحابة.

وكعكاشة بن محصن[1]، ومعاذ للحديث[2]، وبلال[3]، ولذلك قال المصنف: **(وغيرهم من الصحابة)** فكل ما ثبت لأحد نصٌّ أنه من أهل الجنة فهو من أهل الجنة.

ثم هنا مرتبة بين الشهود الكلي والتعيين، كأهل بيعة الرضوان وكأهل بدر، فإنه يشهد لهم بمثل هذا، فهي عمومية من وجه خصوصية من دون غيرهم من المسلمين، وعموم من حيث أنه لم يقل في واحد بعينه بل يقال فيهم ذلك عموماً.

(لا نشهد لأحد بجنة أو نار ما لم تشهد له النصوص بذلك)

ومن لم يشهد له بالتعيين من الصحابة أو غيرهم فلا نشهد له به وإن بلغ ما بلغ، لأنه لا يُدرى عن الخواتيم، للحديث في ذلك[4]، بخلاف الشهادة بالصلاح والخير، كما جاء عن علي لما سئل وهو على المنبر، والرؤيا تثبت الخيرية إذا تواترت ولا يشهد له بمجردها؛ لأنه لا يدرى ما خاتمته، وكذلك السوء.

---

(١) كما في حديث السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» رواه البخاري ٥/ ٢١٥٧، رقم ٥٣٧٨، ومسلم ١/ ١٩٧، رقم ٢١٦.

(٢) روى الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٣٣٥، رقم ٥٥٦: «يجيء معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء برتوة».

(٣) لقول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: «سمعت دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة» رواه البخاري ١/ ٣٨٦، رقم ١٠٩٨، ومسلم ٤/ ١٩١٠، رقم ٢٤٥٨.

(٤) في قوله عليه الصلاة والسلام: «وإن الرجل منكم ليعمل، حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة» رواه البخاري ٣/ ١١٧٤ رقم ٣٠٣٦، ومسلم ٤/ ٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣.

فلا يقال فلانٌ من أهل الجنة، بل يرجى له أنه من أهل الجنة رجاء قريباً من الجزم، وأما الجزم لغير معين فجائز، كما تقول: من مات من أهل التوحيد فهو من أهل الجنة، فنشهد شهادة عمومية لكل من مات على التوحيد أنه من أهل الجنة على أحد تقادير ثلاثة[1].

وكذلك النار لا نشهد لأحد إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، فمن شهد له الرسول ﷺ أنه من أهل النار، فنشهد أنه من أهل النار، كأبي لهب، وأبي طالب، وأما على العموم فنشهد لمن مات على الكفر أنه من أهل النار الخالدين المخلدين.

فنشهد شهادة عمومية أن من مات على الكفر مصيره إلى النار، فالكافر وإن بلغ كفره من الكفر ما بلغ، لا نقول: إنه من أهل النار، لأنا لا ندري ما باطنه، ولا ندري ما يموت عليه.

(١) إما أن يُدْخِلَه الله الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإما أن يدخل النار على قدر ذنبه ثم يدخل الجنة، وإما أن يدخل النار ثم يخرج منها بشفاعةٍ أو بفضل الله ورحمته.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي ابن أَبي طالب ﷺ وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي ﷺ، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة،

(مسألة التفضيل)

(ويقرون) ـ كذلك يقر أهل السنّة والجماعة ـ **(بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر)** قال المصنف: صَحَّ عن علي من نحو ثمانين طريقاً حين سئل مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقال: أبو بكر، قيل: ثم من؟ قال: ثم عمر، حتى إنه سئل عن ذلك وهو على منبر الكوفة، بل هي من المتواتر.

ومقصده بيان أن الذين ينتسبون إلى أنهم يعظمونه وهم الشيعة لا يعبئون بأقواله، مع أنهم لا يعبئون بالكتاب والسنّة في ذلك.

(ويثلثون) ـ أهل السنّة ـ **(بعثمان، ويربعون بعلي ﷺ**، كما دلت عليه الآثار) كما قال ابن عمر: كنا نقول ورسول الله ﷺ حيّ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وهذا بالنسبة إلى الخيرية، وأما بالنسبة إلى الخلافة فشيء آخر.

(وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة)، وهم لا يجتمعون على تقديم أحدهما إلا أنه أفضل، وهذه المسألة يقال لها: مسألة التفضيل، فإن أهل السنّة يقدمون أبا بكر، ثم عمر، فإن النصوص يستفاد منها بعد خلافة أبي بكر وعمر، ولكن بعض أهل

مع أن بعض أهل السنَّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﵄ ـ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ـ أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنّة على تقديم عثمان ثم علي، وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنّة، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة،

السنّة قال بالنص، وبعضهم قال بإجماعهم عليهم.

(**مع أن بعض أهل السنّة**) والجماعة (**كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﵄**) في وقت من الأوقات، ثم استقر الأمر على ما يأتي وزال الاختلاف (**ـ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ـ أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي**).

(**وقدم قوم علياً، وقومٌ توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنّة على تقديم عثمان ثم علي**) ورجع الأمر إلى نصابه.

(**وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة**) التفضيل بين (**عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يُضلَّل المخالف فيها عند جمهور أهل السنّة**) والجماعة؛ لأنها مسألة تفضيل، والتفضيل أمره أسهل من غيره.

(مسألة الخلافة)

(**لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة**) إنما الذي يضلل فيها مسألة الخلافة، فمسألة الخلافة هي التي فيها من القدح في الصحابة؛ بل القدح في الأمة ما لا يخفى.

وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وعمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

(وذلك أنهم يؤمنون) أهل السنة يقطعون **(أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله)**. يعني فَرقٌ بين مسألة الخلافة والتفضيل.

فمسألة الخلافة ما جرى فيها خلاف يذكر، أما مسألة التفضيل، فجرى كما تقدم ثم زال.

أما أبو بكر وعمر فلا خلاف في خلافتهما وفضلهما على سائر الصحابة ومن بعدهم أبداً، ولكن بعض أهل العلم قال: بالنص، وبعضهم قال: بإجماعهم عليهما، وكذلك خلافة عثمان.

أما فضيلة عثمان على عليّ: فجرى فيها خلاف وزال ولكن استقر، هذا هو تفضيله.

ومن تفضيل عثمان على عليّ تقديمه عليه في الخلافة، فإنه لا يقدم في الخلافة إلا الأفضل.

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي».

(أهل السنّة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم)

(و) أهل السنّة والجماعة (**يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ**) يعني: قرابته بني هاشم.

(**ويتولونهم**) التولي: المحبة والترضي والذب عنهم ونحو ذلك، يعني: يذبون عنهم وينصرونهم عندما يحتاجون إلى ذلك، ويحمونهم عندما يحتاجون إلى حماية، ويعرفون لهم فضائلهم ومناقبهم، بل أهل السنّة والجماعة يتولونهم زيادة على ما يتولون به سائر المؤمنين، فهم يرون أن المسلم يُذَبُّ عنه.. الخ، فهم اشتركوا معهم في ذلك واختصوا بقرب رسول الله ﷺ.

(**ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم**) ـ موضع معروف بين مكة والمدينة، في منزلٍ نزله في رجوعه من حجة الوداع لما رجع من مكة، خطبهم فيه خطبة شهيرة قبل موته بشهرين ـ: (**أذكركم الله في أهل بيتي**) يعني: أن تعرفوا لهم حقهم وحرمتهم ومكانتهم من رسول الله، وأن ترعوا لهم حقهم ولا تحرموهم، قاله مزيد حث وتذكير لهم على أنه يُراعى لهم حقيقة.

وهذا خلافاً للنواصب الذين نصبوا لهم العداوة، وهذا حيث كان في خلافة بني أمية، جفوا أهل البيت. والمنصف يعطي كل ذي حق حقه.

فدل على أن أهل بيت رسول الله ﷺ يُحبُّون لأمرين،

(الكافر من أهل البيت)

أحدهما: إسلامهم، والثاني: لقربهم من المصطفى ﷺ، والمراد المُسْلم منهم، أما الكافر فلا، فإن أبا لهب عمُّ النبي ﷺ.

فالمراد المسلمون الموحدون الذين هم على سنته ﷺ.

أما من حاد عما جاء به النبي ﷺ فلا، وقربه من النبي ﷺ يدعوه أن يكون أسرع الناس إجابة له ﷺ.

أما من كان من الكفار فإنه أبعد الناس عن النبي ﷺ وأسؤهم كفراً، فالذين يكفرون من ذرية عبد المطلب يتغلظ كفرهم، ألا ترى قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾.

وهذه الخطبة ألف فيها ابن جرير مجلدين، لكن ما ذَكَر ورواه، مشتمل على أشياء لا تثبت من أجل الشيعة، ويُعْرف أن عنده شيء من التشيع الذي لم يصل إلى البدعة.

المقصود: أن من جملة ما حفظ عنه ﷺ هذا الحديث، وقال ﷺ: «إني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، وثانيهما: أهل بيتي»[1].

(وقال أيضاً للعباس عمّه، ـ وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم ـ) يعني: يُقصِّر في حقهم.

---

(١) رواه مسلم ٤/١٨٧٣ رقم ٢٤٢٥.

فقال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»، وقال ﷺ: «إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

(فقال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي») فدل على أنه واجب من واجبات الإيمان محبة قرابة النبي ﷺ في الله لكونهم مسلمين، وواجب محبتهم من جهة أخرى وهي قرابتهم من النبي ﷺ وهي أخص.

(وقال ﷺ: «إن الله اصطفى بني إسماعيل) يعني: من ذرية إبراهيم، يعني: اتخذ من العرب بني إسماعيل.

(واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم») ولهذا عرفنا أن بني هاشم أهل بيت رسول الله ﷺ صفوة من صفوة، من صفوة من صفوة، كما أن كنانة صفوة بني إسماعيل، وقريشاً صفوة كنانة، وبني هاشم صفوة قريش. فأهل بيته هم صفوة الناس، فبنو إسماعيل صفوة، وكنانة صفوة من صفوة.. الخ، فالنبي ﷺ صفوة من صفوة، من صفوة من صفوة، من صفوة.

وصفوة الشيء: هو خالصه، أصلها اصتفى من صفا الشيء اختاره، وصفوة الشيء خيرته.

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة رضي الله عنها،

(أهل السنّة والجماعة يتولون أزواج رسول الله ﷺ وهن من أهل بيته)

(**ويتولون أزواج رسول الله ﷺ**) ـ والتولي نشر الجميل ـ، بمحبتهن، والذب عنهن، ومراعاة حقهن، والنصر عندما يحتاج لذلك. والأزواج: جمع زوج، والأفصح زوج بدون تاء.

والمراد: اللاتي تُوفي وهن في عصمته، أو تُوفِّين وهن في عصمته، بخلاف من فارقنه في حياته.

فأهل السنّة يتولون أزواج رسول الله ﷺ، كما يتولون أهل بيت رسول الله ﷺ[1]، خلافاً للنواصب.

والتولي ـ كما تقدم ـ: الترضي عنهن، والذب عنهن، وتبرئتهن فُرَش المصطفى ﷺ خيرِ الخلق وأطهرِ الخلق ﷺ.

(**أمهات المؤمنين**) والمراد في الحرمة وعدم التزوج بهن بعده فقط، ليس المراد كشفهن الوجه للناس، أو إذا أرضعت، فإنه ﷺ أبوهم الأكبر الذي على يديه تربيتهم بغذاء القلوب. وفي قراءة: «وهو أبوهم»[2].

(فضائل خديجة وعائشة رضي الله عنهما)

(**ويؤمنون بأنهن**) رضي الله عنهن (**أزواجه في الآخرة**).

(**خصوصاً خديجة**) بنتَ خويلد (رضي الله عنها) فلها من المزية ما لا

---

(١) قلت: وأزواجه من أهل بيته.

(٢) وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبيّ بن كعب. الدر المنثور ٤/٤٥٧، ٦/٥٦٧.

أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصدّيقة بنت الصدّيق ﷺ التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

يخفى، (**أمّ أكثرِ أولاده**) ـ أم فاطمة ـ (**وأول من آمن به وعاضده على أمره**) أي دينه. وهي التي جاء إليها لما جاءه المَلَك وقال: زمّلوني، وأخبرها بما أتاه والقصة معروفة، وأول امرأة آمنت به، (**وكان لها منه المنزلة العالية**).

(**والصديقة بنت الصديق** ﷺ) يعني: وخصوصاً أيضاً الصديقة بنت الصديق ﷺ، يعني عظيمة التصديق، فأبوها الصديق الأكبر، وهي صديقة النساء التي لها المزايا الخاصة من نزول الآيات في حقها والعلم.

(**التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام»**) والثريد: هو الخبز مع اللحم. وباتفاقٍ أنها أعلم نساء الصحابة.

وقول المصنف: «خصوصاً» وخص منهن اثنتين هما أفضل النساء على الإطلاق، فأهل السنّة والجماعة يقولون: جميع أزواج النبي ﷺ وبالأخص هاتين، لكونهما أخص أزواج النبي ﷺ.

(أيهما الفضل خديجة أم عائشة؟)

وقد اختُلِف أيما أفضل عائشة أو خديجة؟ واستدلوا على فضل خديجة بما ذكر. وقومٌ قالوا: عائشة أفضل بالحديث.

ومسألة التفضيل شيء سهل، والصواب والحق أن عائشة

....

أفضل من خديجة في الأشياء التي امتازت بها، وخديجة أفضل في الأشياء التي امتازت بها، وهذا ينبغي سلوكه في مسائل التفضيل، والصِّدِّيقة أعطيت من مِنَّة التصديق شيئاً كثيراً ما ليس لغيرها وأن الصِّدِّيق كثير التصديق. والمصنف ـ رحمه الله ـ ما تعرض لهذا هنا؛ لأن هذا مختصر، ومسلكه في المسألة مبين في مصنفاته.

والتحقيق: ـ كما ذكره المصنف في غير هذه العقيدة المختصرة ـ، أن الصواب أن لا يقال: خديجة أفضل مطلقاً، ولا عائشة أفضل مطلقاً، بل عائشة أفضل في أشياء، وخديجة أفضل في أشياء، عائشة فيها آيات تتلى في المساجد، فهي بها أفضل، ومن جهة كون خديجة أم أكثر أولاده فيقال هذه أفضل من وجه، وبهذا تجتمع النصوص، وهذا له نظائر يفاضل بينها ويحتج كل طرف بحجج.

ومسألة التفضيل أمرها سهل فلا يضلل فيها كما تقدم، ومسائل الخلاف في الفضل وعدمه كثيراً ما يدخله الهوى النفساني، وبعضه قد لا يدخله الهوى، وكونها مسألة هوى لا يُوسَّع البحث فيها مخافة أن يدخل في تأييد هواه.

وحديث: «لا تخيروا بين الأنبياء»: النهي في قوله: «لا تخيروا» إذا كان التخيير على وجه التعصب، مثل ما فعل الأنصاري واليهودي، أو أنه قاله على وجه التواضع.

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول، أو عمل،

(التبرؤ من طريقة الرافضة في بغض الصحابة وسبهم، أصل من أصول أهل السنّة)

(ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم)، من أصول أهل السنّة والجماعة التبرؤ من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة، فإنهم لا يقرون لأصحاب رسول الله ﷺ بقول ولا عمل، فقلوبهم مفعمة من البغض لأصحابه، وألسنتهم متلوثة بالسب في أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل السنّة يحبونهم ويترضون عنهم.

الرافضة مسلكهم في الصحابة أخبث مسلك، يكفرون الصحابة إلا نفراً قليلاً، وتكفيرهم الصحابة هو أصل مذهبهم لكن ضموا إليه الشرك والاعتزال.

(ومن أصول أهل السنّة: التبرؤ من طريقة النواصب في عداوة أهل البيت)

(و) يتبرؤون من (**طريقة النواصب الذين**) ينصبون العداوة لأهل بيت رسول الله ﷺ، (**يؤذون أهل البيت بقول، أو عمل**). فهم في مقابلة الروافض في الغلو في أهل البيت، والنواصب يجفونهم ويبغضونهم.

(الأغراض الشخصية سبب نشوء معتقد النواصب)

وأصل النصب: للأغراض الشخصية للميل إلى رؤساء بني أمية، ناشيء عن المنازعة في مُلْكٍ من مُلْكِ مصر، في مُلْكِ بني أمية ومن يواليهم، فينصبون لأهل البيت العداوة، لأجل ذلك، ويمكن أن يوجد إخوان النواصب، فمن كان كذلك فهو ناصبي مبتدع ضال.

فالحامل على النصب الشهوة، والرفض أعظم منه والحامل عليه الشبهة، والشبهة أعظم من الشهوة.

فالنواصب والروافض في أهل البيت في طرفي نقيض:

الروافض يغلون في أهل البيت، ويكفرون باقي الصحابة.

والنواصب يجفون.

وأهل السنّة وسط بين غلو هؤلاء، وبين غلو أولئك، ورأوا أن لهم مزية لقربهم من النبي ﷺ، كما قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[1] وأهل السنّة طريقتهم: الترضي عنهم جميعاً، ويعرفون لأهل البيت قدرهم القدر الشرعي.

فالخوارج والنواصب متفقون في مزيد العداوة لأهل البيت.

والخوارج لا يقتصرون على عداوة أهل البيت بل عموماً. والذي باشرهم هو عليٌّ، فهم يعادونه ويكفرونه ومن معه من الصحابة، يقولون: إنك حكّمت الرجال وكَفَرتَ.

والنواصب قابلوا الروافض، جفوا أهل البيت وأبغضوهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/٢٠٧ رقم ١٧٧٧، وابن أبي شيبة ٦/٣٨٢ رقم ٣٢٢١٣ بلفظ: «والله لا يدخل قلب امرىء إيمان، حتى يحبكم لله ولقرابتي».

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه،

(معتقد أهل السنّة والجماعة: الإمساك والكف عما شجر بين الصحابة)

(**ويمسكون**): يكفون (**عما شجر**): وقع (**بين الصحابة**) من النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب بينهما؛ لأن تلك الأمور اجتهادية وهم على قسمين: مجتهد مصيب، ومجتهد مريد للحق مخطيء فاته أجر الإصابة وصار له أجر الاجتهاد، مع العلم والقول أن أَوْلى الطائفتين: علي رضي الله عنه ومن معه.

هذه طريقة أهل السنّة يمسكون عما شجر بين الصحابة ـ في الحروب والوقائع ـ إذا جاء الخوض ويكفون، فلا يكونون في هذا الجانب ولا في هذا الجانب.

هذا من أصول أهل السنّة: الكفُّ عمّا كان بين الصحابة، وعدم الخوض فيها، وعدم الكلام وتُترك.

(**ويقولون**) ما يأتي بيانه:

(مسلك أهل السنّة والجماعة في الآثار المروية في مساويهم على ثلاثة أقسام)

(**إن هذه الآثار المروية**) الكثيرة (**في مساويهم**): في عيوبهم (**منها: ما هو كذب**) من أصله، ولا أصل له بحال أبداً، هذا مسلك أهل السنّة والجماعة.

(**ومنها: ما قد زِيد فيه ونُقِّص وغُيِّر عن وجهه**) أي: ومنها ما له أصل لكن ما بقي على أصله بل غُيِّر.

وهذا في القول العام في الصحابة، فإنهم لا يجتمعون على ضلالة.

والصحيح منه: هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق

(ما وقع بين الصحابة هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون)

(**والصحيح منه**): أي الذي يثبت منه وهو الأقل، وهذا خاص بالأفراد:

(**هم فيه معذورون**):

(**إما مجتهدون مصيبون**) فيكون لهم أجران ﷺ.

(**وإما مجتهدون مخطئون**) والخطأ مغفور لهم.

فأعمالهم مترددة بين أن يكون لهم فيها أجران أو أجر، مثل الحاكم إذا اجتهد فأصاب له أجران، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

(لا يمكن لجتماع الصحابة بحالٍ على ضلالة)

(**وهم**) أي: أهل السنة والجماعة (**مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة**) كل فرد منهم (**معصوم عن كبائر الإثم وصغائره**) تجوز عقلاً وغير مستحيلة.

(**بل تجوز عليهم**) فهذا من التجويز الوقوعي، لا أنه يجوز لهم في الأحكام. ـ تجوز عليهم لا أنها تجوز لهم ـ (**الذنوب في الجملة**)، فالذنوب متصورة من أحدهم، والعصمة إنما هي لجميعهم أن يكونوا مجتمعين على ضلالة.

(**ولهم من السوابق**) إلى الإسلام وقوة الإيمان واليقين والجهاد

والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم،

(للصحابة من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر)

(والفضائل، ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون) كما في حديث «خير الناس قرني..» الحديث، و«خير أمتي قرني..» الحديث.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ مخاطباً خالداً ومن معه وكان منهم «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً» ما بلغ مثلَ مُدِّ مَنْ تقدَّمه من الصحابة، فكيف بمن بعد الصحابة؟! ومن بعدهم فمن بعدهم؟!.

(وأن المد من أحدهم) من البر ونحوه **(إذا تصدق به، كان)** خيراً و**(أفضل)** عند الله **(من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم)**، فهذه فضيلة ومنقبة لهم، بل قال ذلك النبي ﷺ لبعض الصحابة السابق منهم، فكيف بمن بعد الصحابة؟! ومن بعدهم؟! فهذا بَوْنٌ بعيد وتفاوت عظيم.

(الأعمال تتفاضل بما في القلوب)

وهذا يبين لك أن الأعمال لا تتفاوت وتتفاضل إلا بتفاضل ما

في القلوب، وصدور العمل معتمد على النية والإخلاص وسماح النفس، فالصحابة أكمل الناس إيماناً وإخلاصاً وعلماً، وأيضاً صحبتهم الرسول ﷺ التي امتازوا بها عن غيرهم، ـ فقاتل الله الروافض ـ.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أَو أتى بحسنات تمحوه، أَو غفر له بفضل سابقته، أَو بشفاعة محمَّد ﷺ

(أسباب مغفرة ذنوب الصحابة إذا قدر أن واحداً منهم قد صدر منه ذنب)

(ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب) ـ تقدم لك أن الفرد منهم غير معصوم ـ، إذا قدرنا أن واحداً منهم قد صدر منه ذنب وثبت، ـ وهو غير معصوم ـ، فإنه تَعْرِضُه هذه الأمور:

الأول: التوبة **(فيكون قد تاب منه)**، والتوبة تَجبُّ ما قبلها، فهم أسرع شيء إلى المبادرة بالتوبة والإقلاع عما صار منهم، بل هذا ممكن قريب وهو الأحرى بهم ﷺ. ثم الشخص قد يكون بعد الذنب والتوبة أكمل منه قبله.

(أو أتى بحسنات تمحوه) الثاني: كثرة الأعمال ورجحانها على السيئات، كما في قصة أهل بدر، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وفي الحديث: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[1].

الثالث: **(أو غفر له بفضل سابقته)** وجهاده مع النبي ﷺ، فإن صاحب السابقة يغفر له ما لا يغفر لغيره، فإنها شيء كبير من الفضل، ولهذا نوّه الله عن أهل السبق في كتابه فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

(أو بشفاعة محمد ﷺ) هذا الرابع للعصاة من أمته، وأولى الناس

---

(١) رواه أحمد ٥/١٥٣، رقم ٢١٣٩٢، والترمذي ٤/٣٥٥، رقم ١٩٨٧.

الذي هم أحق الناس بشفاعته، أَو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه.

فإذا كان هذا

بها أصحابه لامتيازهم على الأمة، فإن شفاعته هي دعوته لأمته **(الذين هم أحق الناس بشفاعته)** فإنه ﷺ أخبر أن شفاعته نائلة العصاة من أمته كما في الحديث: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[1]، فأولى الناس بهذه الشفاعة من العصاة الصحابة، وَلِمَ لا يكونون أولى وهم خير القرون؟!

الخامس: **(أو ابتلي ببلاء)** من مصائبِ ببدنه أو أهله أو ماله، فإنها ليست حسنات، بل مكفِّرات، وهي نوعُ امتحان، ولكنها غالباً تسبب إما عملاً صالحاً وهو الصبر، أو سوءاً وهو الجزع، والصحابة أولى الناس بها، **(كُفِّر به عنه)** فإن المصائب مكفِّرات للذنوب مطهِّرات، فإنهم ليسوا أهل ترافات، بل هم أحرى بالمصائب المنكبات كما في الحديث: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[2].

فهذه خمسة أسباب لمغفرة الذنب، إذا صدر عن أحد من الصحابة فهو بعرضة خمسة أشياء، والمصنف ذكر في بعض مؤلفاته «كمنهاج السنة» عشرة أسباب في تكفير الذنوب.

(فإذا كان هذا) يعني: الأسباب العشرة التي ذكر منها هنا

---

(١) رواه مسلم ١/ ١٨٩، رقم ١٩٩.

(٢) رواه الترمذي ٤/ ٦٠١، رقم ٢٣٩٨، وابن ماجه ٢/ ١٣٣٤، رقم ٤٠٢٣.

في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟!

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم، قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح،

(ما جرى بين الصحابة هم مجتهدون فيها، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم)

خمسة (**في الذنوب المحقَّقة**) أنها بعرضة هذه الأسباب (**فكيف بالأمور**) التي ليست محقَّقةً بل اجتهاد وليست ذنوباً محضة (**التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا**) في الحصول على الخير والعمل به (**فلهم أجران**) أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة.

(**وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم**)، إن فاتهم أجر الإصابة، ما فاتهم أجر الاجتهاد والحرص على الخير.

(**ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم، قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم**) فإذا ثبت عن أحد منهم، فهو كنقطة في بحار استهلكت، فلم يبق لها عين ولا أثر، والخطأ يعني الذي خلاف الاجتهاد وما إلى ذلك، يعني فبطريق الأولى أن تكون مغفورة في جنب هذه الفضائل، بل في جنب واحدة من هذه الفضائل.

(**من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح**) «مِنْ» لبيان الجنس في

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

جنس ما منَّ الله به عليهم، إذا نسبت هذا إلى هذا، فلا كمية ولا كيفية.

(الصحابة خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم)

(**ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة**) من عرف ذلك في سيرتهم، عرف صدق ما جاء في الأحاديث، أنهم خير الخلق بعد الأنبياء كما تقدم «خير القرون قرني» كما في حديث عمران وابن مسعود رضي الله عنهما، ومنه: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله».

(**وما منَّ الله عليهم به من الفضائل**) من صريح الإيمان بالله ورسوله، وسبقهم إلى الخير والأعمال الصالحة تبين له ما يأتي:

(**عَلِم يقيناً أنهم**) ـ يعني الصحابة ـ (**خير**) وأفضل (**الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم**) رضي الله عنهم.

(**وأنهم الصفوة**) الخيار (**من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله**).

فصـل

ومن أصول أهل السنَّة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات،

(فصـل)

(من أصول أهل السنّة الإيمان بكرامات الأولياء)

(ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات) من حمل الأثقال وقطع المسافات الطويلة.

وقد انقسم الناس في كرامات الأولياء إلى ثلاثة أقسام:

قسم: أنكروها بالكلية، وهم المعتزلة.

وقسم: أثبتوها وغلوا في إثباتها، حتى جعلوا من صدرت منه فهو ولي لله، وأنها من الدلالة على أنه يصلح أن يُعبد من دون الله، وهم القبوريون.

وقسم توسطوا، فأثبتوا كرامات الأولياء وتثبَّتوا فيمن صدرت منه.

وهذا هو الصواب: إثبات جنسها، وأن من جرت على يده يوزن بالكتاب والسنّة، فإن كان من أهل الاستقامة فهي كرامة وولاية وعلامة، ولا تدل على أنه يصلح للعبادة.

وإن كان بخلاف ذلك فهي من الأمور الشيطانية.

والذي حدى المعتزلة على إنكار الكرامات أنهم يقولون: إن

كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة

تعريف النبي: هو من صدر عن يده خارق قالوا: فإذا قلنا إن لهم كرامات التبس الولي بالنبي، فلم يتميز هذا من هذا، فأنكروا الكرامات لذلك.

ونقول: هذا من تعريف النبي كرامة لكن مع شيء آخر وهو إنزال الوحي عليه.

(من ظهرت له كرامة ليس له مزية وفضيلة على من لم تظهر له)

وأهل السنّة أثبتوها وصَدَّقوا بأن ما جرى لهم من ذلك فهو كرامة وقالوا: إن من صدرت عنه فليس له مزية على غيره وفضيلة، فليست الكرامة هي الميزان في علو الدرجة في الولاية، وأن من ظهرت له كرامة أنه أفضل ممن لم يظهر له كرامة؛ بل من ليس له كرامة أفضل بكثير ممن له كرامة. بل هي من نوع الحظ والبخت يعطيها الله من يشاء.

ثم هي قد تكون لمن جرت له، فتنة وشر تنقصه في دينه، وقد تكون خيراً، وقد تزيده ولا تنقصه وتحمله على فعل الطاعات فهي كالنعمة، من الناس من تزيده، ومنهم من تنقصه.

(**كالمأثور عن سالف الأمم**) كقصة أصحاب الكهف (**في سورة الكهف**) لما فارقوا قومهم في ذات الله وأووا إلى الغار ثلاثمائة وتسع سنوات لا يأكلون هذه المدة الطويلة. المقصود: أن جنس هذا من كرامات الأولياء كونهم بقوا هذه المدة بلا طعام ولا شراب.

(**وغيرها**) كما جرى لابن مريم من إبراء الأكمه والأبرص.

(**وعن صدر هذه الأمة من الصحابة**) كقصة خالد حين حسا

والتابعين، وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

السم، وقصة الذين خاضوا البحر ولم يغرقوا.

(لماذا الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة؟)

(والتابعين) أكثر، والسبب: أن الصحابة أقل حاجة إليها، لأنها لتأييد الحق وبيان فضله وهم لا يحتاجون إليها.

وليعرف أنها كرامة يكرم الله بها أولياءه وهي لا تدل على أنه أفضل من الآخر، وأنها من جنس الحظ من المال أو العلم أو الفهم، هي بنفسها كرامة إنما تدل على فضله، لا على أفضليته على غيره، شبه البخت والحظ، بل إن زادت صاحبها صارت نعمة، وإن كانت أوقفت شيئاً من سيره أو أنقصته، فهي نعمة من جانب، وابتلاء من جانب، كما قال تعالى عن سليمان: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

فحقيقة الخارق: هو أن يوجد منه شيء ليس من عادته ولا استطاعته، كأن يقطع في لحظة ما جنسه يقطع في يوم، أو نحو ذلك كالطيران في الهواء.

(وسائر فرق الأمة) وهم على طبقتين: أبرار وأصحاب يمين، ولا تكون له دائماً في كل وقت، وإذا عرفت أنهم في هذا الزمان كادوا أن يفقدوا، والأكثر فيهم من التخليط ما فيهم[1]!! وليس المراد أنه لا يقع منهم زلة، بل تقع ولكن يرجعون وليسوا معصومين، هذا هو المراد، والله أعلم.

(وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة) وللمصنف كرامات مع أهل زمانه.

---

(١) تبين لك قلة من تقع له.

فصل

ثم من طريقة أهل السنّة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال:

(فصل)

(طريقة أهل السنّة والجماعة اتباع هدي النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل)

(**ثم من طريقة أهل السنّة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً**) اعتقاداً في الاعتقادات، وأقوالاً في الأقوال، وأفعالاً في الأفعال.

فما أثر عنه وما جاء عنه أقسام: قسم من قوله، وقسم من فعله، وقسم من إقراره، فنتبع ما قال، ونقرر ما قرر، ونفعل ما فعل، فهذا أصل عظيم وباب كبير من أبواب الدين.

(و) كذلك من أصول أهل السنّة مع ذلك: (**اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار**) ومعرفة ما هم عليه والأخذ بهديهم، كما قال ﷺ: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين» الحديث[1].

(**واتباع وصية رسول الله ﷺ**) هذا من عطف الخاص على العام، ومن أصولهم أيضاً: اتباع وصية رسول الله ﷺ (**حيث قال:**

---

(١) رواه أحمد ٤/١٢٦، والترمذي ٥/٤٤، رقم ٢٦٧٦.

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة». ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله

«عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بهـا) يعني: شدوا بها، **(وعضوا عليها بالنواجذ)** يعني: امسكوا عليها بالنواجذ الأربع، فإن الشيء النفيس لا يُكتفى بإمساكه باليد فقط.

(التحذير من البدع)

(وإياكم ومحدثات الأمور) حرض على التمسك بما تقدم، وحذر مما أحدث بعده مما يتعبد به، فإن الذي لم يكن على زمنه وأصحابه والسلف الصالح والصدر الأول، فما جاء به فهو البدعة المحضة، لو كان خيراً لسبقونا إليه «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

فإذا لم يكن في القرآن ولم يكن من المأثور عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين والصدر الأول فهو بدعة.

(أهل السنة يرون أن أصدق الكلام كلام الله، ويؤثرون كلامه على كلام من سواه)

(فإن كل بدعة ضلالة»)، البدعة في قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة»، مراده من حيث اللغة، وإلا فأصلها معروفٌ زمن النبي ﷺ، أما تقسيم بعضهم البدعة إلى خمسة أقسام فهذا غير مسلم، بل البدعة الذي لا يسوغها الشرع فهي بدعة ضلالة، وما كان لها ما يخولها من الدين ويدل عليها فليست بدعة ضلالة، بل بدعة لغوية.

(ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله) كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ ويرون أن فضل

وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمَّد ﷺ على هدي كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة،

كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه.

(وخير الهدي هدي محمد ﷺ) هديه وسيرته، خير الهدي والسيرة، فلا هدي ولا سيرة خير من هديه وسيرته.

(ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس) فلا يعدلون كلام ربّ العالمين بكلام غيره كائناً من كان.

(ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد) كذلك من أصول أهل السنّة: تقديم هدي النبي ﷺ على هدي كل أحد، ولا يعبئون بهدي ما سواه وإن تباعدت بهم الأوطان.

(سموا أهل الكتاب والسنّة لإيثارهم طريق الكتاب والسنة على غيرهما)

(ولهذا) ولأجل كونهم لا يفضلون على كلام الله كلام غيره، ولا يقدمون هدي أحد على هدي محمد ﷺ.

(سموا أهل الكتاب والسنة) مما تقدم من إيثارهم طريق الكتاب والسنّة، وإيثارهم كلام الله على غيره من أصناف الناس، سموا أهل الكتاب والسنة.

(سموا بالجماعة لاجتماعهم على الحق وهو الأخذ بالكتاب والسنّة)

(وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة) لأنه يجمعهم شيء واحد، وهو اجتماعهم على الحق، وهو

وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة، جميع ما عليه الناس، من أقوال وأعمال باطنة أَو ظاهرة، مما له تعلّق بالدين.

الأخذ بالكتاب والسنة، والمنع بالكتاب والسنّة، فمن صار كذلك فهو من أهل الجماعة.

(وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين) سواء كانوا قليلين أو كثيرين فهم الجماعة، ولو كان واحداً فهو الجماعة في الحقيقة، كما سمى الله إبراهيم أمة.

(والإجماع: هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين) فهذه الأصول الثلاثة المجمع عليها، فإن كل واحد منها حجة، الكتاب والسنة والإجماع، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ وهناك أصول مختلف فيها كالقياس.

(عند أهل السنّة والجماعة ثلاثة أصول يزنون بها جميع ما عليه الناس)

(وهم) يعني: أهل السنة **(يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة، جميع)** ما جنسه قربة ـ **(ما عليه الناس من أقوال وأفعال باطنة أو ظاهرة)** ما كان راجحاً فهو راجح، وما كان مرجوحاً فهو مرجوح، وما لم يعلم رجحانه ولا مرجوحيته فإذا أمكن رَدّه إلى الكتاب والسنّة، وكذلك مسألة الحلال والحرام كما تقدم، فإن الأصول المعتمد عليها ثلاثة: الكتاب والسنّة والإجماع.

(مما له تعلق بالدين) خاصة مما جنسه يتعبد به إلى الله من

والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

فعل أو ترك، ـ إما من تحريمه أو تحليله ـ، أما من جهة الأمور العادية فهذا لا مدخل له فيه.

الإجماع المعتبر: هو ما كان عليه السلف الصالح

و(**الإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح**) والذين يلونهم وذلك لكرامة هذه الأمة وأنها لا تجتمع على ضلالة، وإذا قيل: واحتُجَّ، فهو إجماع.

(**وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة**) في فضاء المعمورة فلا يمكن أن يحصل إجماع إلا ما حصل في ذلك الوقت، فهي أوطان محصورة معروفة، وهي أمصار الإسلام الشهيرة، وهي كانت مرجعاً للدين، وبعدهم لا يقال: أجمع العلماء على كذا؛ لأنه لا ينضبط.

فصل

ثم هم مع هذه الأصول، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

(فصـل)

(من أصول أهل السنّة والجماعة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(ثـم هـم) يعني: أهل السنّة والجماعة **(مع هذه الأصول)** العظيمة والهامة، وعملهم بهذه الأصول والعقائد القيمة المتقدم ذكرها **(يأمرون بالمعروف)** فإنه أصل عظيم وعبادة عظمى من أجلّ الطاعات، كما أنها مفتقرة أن تفعل ابتغاء وجه الله الكريم، والمعروف: هو ما عرف بالشرع أنه ينبغي سواء من الواجب أو المندوب.

(وينهون عن المنكر) والمنكر: اسم لكل شيء عرف من الشرع والعقل قبحه.

(ما هو المعروف والمنكر؟)

فكل ما أنكره الشرع والعقل فهو منكر، وكل ما استحسنه الشرع والعقل فهو معروف. والمعروف: اسم لكل شيء عرف من الشرع والعقل حسنه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب عظيم كبير من أبواب الجهاد، فهو من الدين بمكان، ولهذا في النصوص شَرْعِية الأمر به. وقيل: إنه ركن سادس من أركان الدين لأثر ورد.

والمعروف كلمة شاملة وهو: كل ما جاء به الشرع، وأعظمه التوحيد.

على ما توجبه الشريعة.

والمنكر: اسم لكل ما نهىٰ عنه الشرع، وأعظمه الكفر، فما أنكرته العقول السليمة والفطر المستقيمة والشرائع المنزلة فهو منكر، والمعروف بعكسه.

(درجات الأمر بالمعروف)

فأعلى المعروف التوحيد، وأدناه المستحبات، فإن بِكُلِّها مما يأمر به أهل السنّة والجماعة، فبعضها ـ مما يأمرون به ـ حتم ووجوب ويقاتِلون عليه، ومنها ما يأمرون به أمر حتم ووجوب ولكن ليس مثل الأول، ومنها ما يأمرون به أمر ندب لا وجوب.

فالأمر بالمعروف عند أهل السنّة درجات ـ طبقات ـ منها مما هو من أركان الدين كالأمر بالتوحيد، ومنها ما هو من واجبات الدين، ومنها ما هو من المندوبات، فهو درجات منه ما هو مندوب كالأمر بالمندوبات، وفوقه الأمر بالواجبات، وفوق ذلك الذي يفتقر الدين إلى صحته.

فأهل السنّة والجماعة يأمرون بالمعروف الذي أعلاه وأعظمه التوحيد، ويفرضون الفرضيات ويأمرون بالمستحبات، وينهون عن الشرك أصغره وأكبره وينكرونه، وينهون عن الكبائر، وينهون عن المكروهات والمحرمات والصغائر.

(من شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يكون على ما توجبه الشريعة)

والمنكرات يكفي معرفتها جملة، بخلاف الواجبات فإنها جملة وتفصيلاً.

وقوله: (**على ما توجبه الشريعة**) فإن قوماً يرونه لكن لا على ما توجبه الشريعة، كالذي عليه الخوارج والمعتزلة الذين يرون

....

الخروج على الأئمة، وقتال الأئمة على شيء من المعاصي التي لا تنافي الدين.

«على ما توجبه الشريعة» قيد، يعني لا مطلقاً، فإن قوماً تصدوا له وزعموه، ولكن خرجوا عن حد الشريعة، فإن منهم من رأى الخروج على المسلمين على غير ما توجبه الشريعة، فالخوارج أمروا بالمعروف حتى جوّزوا الخروج على الأئمة، وأما أهل السنّة والجماعة فهم على ما توجبه الشريعة.

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد له من أمرين: الإخلاص والمتابعة، فمن لم يخلص أمره ونهيه فهو مشرك.

ومن أخلص ولكن ما تابع فهو مبتدع كالمعتزلة والخوارج، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أصولهم، لكنهم لم يتابعوا في ذلك ما جاء به الرسول ويُفْرِطُون في ذلك حتى جوزوا الخروج على الأئمة العصاة، وسمّوا قتالهم ولاة المسلمين أمراً بالمعروف، والمصنف احترز بهذا القيد فقال: «على ما توجبه الشريعة»، فإن كثيراً ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر خارج عن هذا القيد. فلا يُزاد في ذلك فيَدْخل في سلك هؤلاء، ولا يُنقص فيدخل في سلك الإباحية أو أهل الشهوات.

ويرون إقامة الحج والجهاد، والجُمَع والأعياد مع الأمراء،

(من أصول أهل السنّة: إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبراراً كانوا أو فجاراً)

(ويرون)، كذلك أهل السنّة يرون **(إقامة الحج)** فإنهم في ذلك كالأئمة للناس يعني مع ولاتهم المسلمين، بأن يكونوا هم المتولين منهم أعمال الحج، واتباع المسير فيها، والذهاب إليها، وتدبير أمرها، أو من يقوم مقامهم، كنوابهم الذين يتولون إقامة الحج بالمسلمين في سيرهم ونزولهم، وظعنهم وإقامتهم ونحو ذلك.

(والجهاد) كما في الحديث: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، براً كان أو فاجراً»[1]، والجهاد جهاد الكفار أعداء الله، يعني مع ولاة الأمور، فإنهم الذين يتولون إقامة الجهاد في سبيل الله، كما أنهم يتولون فَيئَه وخُمُسَه ونحو ذلك، فكذلك يتولون إقامته وتدبيره وأمره وشؤونه، فلا ينازعون فيه، فإنه لا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

(والجُمَع) إقامة الجُمَع مع الأئمة والصلاة خلفهم واجبة ولو كانوا عصاة فجاراً، فإنه تصح الصلاة خلفهم، والمراد إذا كان مسجد واحد يصلي به إمام فاجر، فإن الصلاة خلفه أهون من ترك الصلاة مع الجماعة، وهذا بخلاف الصلوات الخمس فإنها لا تجب في مسجد واحد، وأما الجمعة فتجب في مسجد واحد على قول من لا يرى التعدد إلا لمسوغ شرعي.

(والأعياد) مع الأئمة، فيُصلَّى **(مع)** الأئمة **(الأمراء)**، يعني: كون الأئمة هم الذين يتولون إقامة ذلك.

---

(١) رواه أبو داود ٣/ ١٨، رقم ٢٥٣٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٢١، رقم ٥٠٨٣.

أبراراً كانوا أَو فجاراً. ويحافظون على الجماعات،

(**أبراراً كانوا أو فجاراً**) فإن أهل السنّة يرون إقامة ذلك، سواء كانوا تقاة فلهم وللناس، إن كانوا أبراراً فهذا من فضل الله وبرحمته، وإن كانوا فجاراً فهو من ذنوب المسلمين أن ولوا عليهم من فجارهم، والفجار فجورهم على أنفسهم، فإن قاموا بأمر دينٍ وإسلام فيجب القيام به معهم، فالشرع يقيمونه ومعصيتهم عليهم، فإن هذه طاعات تفعل لله، فيشارَكون فيها، فهذا اتباع للدين ولو على أيدي الفجار.

فالمسلمون يشاركونهم في الطاعة، في بِرِّهم وصلاتهم وأعمالهم الصالحة، ولا يشاركونهم في المعاصي، فما كان من فجور وفساد فعليهم ولا يشارَكون فيه.

وأما الصلاة خلف المبتدع، فإن كانت بدعته توصله إلى الكفر وكان يخاف من سطوته صلّى وراءه وفارقه في النية.

(المحافظة على الجمع والجماعات من اصول أهل السنّة خلافاً للرافضة)

(**ويحافظون على**) الجمع و(**الجماعات**)، هذا مما عليه أهل السنة، الصلوات الخمس مع الجماعة، وكذلك الجمع، وقد همَّ النبي ﷺ بإحراق من لم يشهد الجماعة. والجمعة أهم وآكد.

يحافظون على الجماعات يعني وراء كل مسلم بخلاف الروافض، فإنهم لا يرون إقامتها إلا وراء معصوم، وينتظرون محمد العسكري - وقيل: إنهم مُعِدُّون له بغلة وفرساً - متى خرج صلوا وراءه، وهذا أصل فاسد ومردود عليهم، فإنهم أنفسهم غير معصومين، بل تقع منهم المعاصي، بل والكفر، فكيف يرون أن لا يصلوا إلا وراء معصوم؟!

(من معتقد أهل السنّة النصيحة لجميع الأمة)

(ويدينون بالنصيحة للأمة) كذلك أهل السنّة والجماعة يدينون بالنصيحة لجميع الأمة المحمدية.

والمراد بالنصيحة: خلوص السريرة للمؤمنين من قولهم: «ذهب ناصح».

وخلوصها سلامتها وخلوها من غلّ أو حقد أو دغل، فهي صافية طاهرة نقية، ساعية في الخير للمسلمين، ساعية في دفع الضر عنهم.

فهي تعتمد شيئين: السلامة من الغش، وبذل المجهود.

فمن كان مدخول القصد للمسلمين فهذا عادم النصيحة، ومن كان سالم القصد وقصَّر فهذا غير ناصح، فهي بذل المجهود مع خلوص السريرة للمسلمين، بحيث يحب لهم الخير والدخول فيه، ويكره لهم الشر، ويؤثِّر ذلك فيه.

فأهل السنّة يدينون بالنصيحة للأمة المحمدية كلِّهم خاصتهم وعامتهم، في دينهم وإرشادهم وهدايتهم وإنقاذهم من المهلكات، وكذلك السعي لهم في ذلك، ومحبته لهم، وفي معاشهم ومصالحهم كلها، ولهذا في الحديث: «الدين النصيحة، قلنا: لمن، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

(١) رواه مسلم ١/ ٧٤ رقم ٥٥.

ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»

(من أصولهم: العمل بمقتضى ما اعتقدوه، ومن ذلك العمل بالنصيحة)

(**ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن**) ويعملون بمقتضى ما اعتقدوه، فمتى تخلف العمل بموجب ما اعتقدوه دلّ على تخلف الاعتقاد، ومتى ضعف دلّ على ضعف الاعتقاد، فكل من اعتقد شيئاً حقيقةً ولم يكن على ذلك مكدِّر لا غبار وشبهة ولا شهوة، فإنه لا يتخلف عنه بحال عن أي عمل.

(هل العلم يستلزم الهداية أم لا؟)

وهذه مسألة هل العلم يستلزم الهداية أم لا؟ قولان لأهل العلم:

طائفة من أهل العلم: ذهبوا إلى أنه يستلزم الهداية.

وقوم قالوا: لا يستلزم الهداية، واستدلوا بقصة بلعامَ وعلماءِ اليهود وغيرِهم ممن علم وتخلف منه العمل.

وفصَّل المسألة شيخ الإسلام وابن القيم، فقالا: العلم التام السالم من مكدِّرٍ ـ شبهةٍ أو شهوةٍ ـ لا يتخلف عنه العمل أبداً.

(من المؤمنين من لو ترك وحده لسقط)

(**كالبنيان يشد بعضه بعضاً**) يعني: أن اتفاق المؤمنين بعضهم ببعض كالبنيان، وهذا في أمور دينهم ودنياهم، بحيث يستقيم ويثبت، فإذا كان هذا شأن البنيان بعضه مع بعض، كان واجباً على المسلم أن ينصح أخاه، فإن هذا كالبنيان يشد بعضه بعضاً في دينه ودنياه، يشد قويُّه ضعيفَه، فإن البنيان منه القوي، ومنه الضعيف، فإذا تماسك وشد بعضه بعضاً ولصق بعضه ببعض استقام كله؛ فإن من المؤمنين من ليس كامل الإيمان قَوِيَّه، فلو تُرِك وحده لسقط،

فإذا كان مع جماعة المسلمين تقوَّى بهم وصار منهم ومثلهم، وتقوّى من ضعفه بجماعتهم.

ومنهم من هو ضعيف الإيمان لا يستقيم استقامة تامة.

(**وشبك بين أصابعه»**) الكريمة إشارة إلى حقيقة ذلك، وأن المؤمنين كالأصابع المتداخل بعضها في بعض.

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد

(من معتقد أهل السنّة موبتهم ورحمتهم وعطفهم على إخوانهم المؤمنين)

(و) يعتقد أهل السنّة معنى (قوله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادهم) فإنه من أعظم الأصول العظيمة الحب في الله. «**توادهم**»: تحاببهم، و«توادهم» أصله توادد‌هم وهو التحابُّ، فالتوادد: هو التحابُّ، وفي الحديث: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان.. إلى قوله: وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»[1] يعني: المحبة الدينية التي هي لله.

(**وتراحمهم**) التراحم هو: رحمة بعضهم بعضاً، كما وصف الله المؤمنين في قوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾.

(**وتعاطفهم**) والتعاطف يعني: عطف بعضهم على بعض بالمنافع والمصالح، ويلجأ إليه ونحو ذلك من رجوع بعضهم على بعض، ورفق بعضهم ببعض.

(**كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد**) رجع بعضه إلى بعض، ووجع من أجل ما اشتكى، فينعطف عليه الجسد ويتداعَى، يعني: ينادي بعضه بعضاً هلُمَّ نحمل معه الألم، بل ونكون معه بالسوية نحمل كما حمل، ولو كان الألم في

(١) رواه البخاري ١/ ١٤، رقم ١٦، ومسلم ١/ ٦٦، رقم ٤٣، وتمامه: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

بالحمى والسهر».

بَضْعة من الجسد، سهر ذلك الجسد كله، (**بالحمى**) وهي شدة الحرارة، (**والسهر**): عدم النوم، فمثلاً الوجع يكون في الأصبع الواحد، فيتألم منها سائر الجسد ويشتكي، ويناله من الوجع ـ وهو في طرف الأنملة ـ فيسهر.

ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء،

(من أصول أهل السنّة: الأمر بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء)

(ويأمرون بالصبر عند البلاء) أهل السنّة والجماعة يحثون على الصبر، والصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على المصائب.

(والشكر عند الرخاء) كذلك أهل السنّة والجماعة يأمرون به.

والشكر: هو الاعتراف بها في الباطن؛ كون الله أنعم بها، وهو أعم من القول باللسان، وأركانه ثلاثة: اعترافه بنعمة الله عليه، والثناء عليه بها، والاستعانة بها على مرضاته.

والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء هما الإيمان.

الصبر نصف الإيمان، وذلك أن العبد متقلب بين نعم يجب عليه شكرها، وبين صبر عن المعاصي يجب عليه اجتنابها، والدين كله في هذين الشيئين: فعل المأمور، وهو العمل بطاعة الله، وهو حقيقة الشكر، وترك المحظور، وهو الصبر عن المعاصي.

وهذان الأمران من الدين بمكان، بل الدين أمران صبر وشكر، فإذا قام عند المصائب بالصبر، وعند النعم بحقها وهو الشكر، صار عابداً لله حقاً، وأعظم أنواع الصبر، الصبر عن المعاصي وهو أشقها، وعلى المصائب، ويفهم من كلام ابن القيم أن الصبر على الطاعات أفضل، وذلك أن الطاعات مرادة بالذات، أما المعاصي فليست مرادة بالذات، وإنما هو الطاعة لله، والصبر على الطاعة: إلزام النفس على فعلٍ.

(و) من أصول أهل السنّة: (**الرضا**)، والرضا: قد يكون بمعنى التسليم، وربما أنه أشهر معنىً من التسليم، فهو من الكلمات التي هي أقرب إلى الذهن من التسليم.

(**بمُرِّ القضاء**) هذا يرجع إلى الصبر ولكنه غيره.

حالة الرضا: أن يستوي عنده البلاء وعدمه.

والرضا مرتبة أعلى من مرتبة الصبر، وهذه المرتبة المندوب فيها أفضل من الواجب، وهذا من المراتب التي المندوبات فيها أفضل من الواجبات، وإلا فالأصل أن الواجب أفضل من المندوب إلا في أمور منها هذا، كما في الحديث: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»[1]، فإنه دالّ على أن الفرض أفضل من المستحب، فالرضا هنا أفضل من الواجب وهو الصبر، والصبر عند المصائب عزيز في الناس، ثم الرضا عزيز.

وللعبد عند المصيبة أربعة أحوال ممكنة:

١ ـ الجزع.

٢ ـ الصبر.

٣ ـ الرضا.

٤ ـ الاستشعار بأنها نعمة، وهذه تكاد أن تكون تذكر ولا توجد.

فالصابر قليل، وأقل منه الرضا، وأقل منه الشكر.

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢٣٨٤، رقم ٦١٣٧.

ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»

(أهل السنّة يدعون إلى كل خلق عالٍ نفيس، وإلى كل عمل حسن)

(ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال) يعني: خلق كريم، وعمل حسن، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] أي: لِمَا رُكِز في القلوب استحسانه.

فكل خلق وفعل حسن دلّ على حسنها الشرع والفطرة والعقل، فأهل السنّة يعتقدون حسنه، ويعملون به، ويأمرون به، وكل خلق وفعل يستنكر في الفطر والعقول، يكرهونه وينهون عنه.

فهم يدعون إلى كل خلق عالٍ نفيس، وعمل حسن.

(اعتقادهم ان المؤمن لا يكمل إيمانه الا إذا حسن خلقه)

(ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً») ويقبلونه ويعملون بموجبه، ويُحسِّنون أخلاقهم مع إخوانهم المسلمين، ويسعون ويَجِدُّون في تحسين أخلاقهم مهما أمكنهم، ويحثون الغير على ذلك، فهو يَجِدُّ في أن يكون حسن الخلق ويوصي غيره.

والخُلُق: هو صورة الإنسان الباطنة، والخَلْق: هو صورته الظاهرة.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٩١.

ويندبون إِلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك،

(لا يقابلون قاطع الرحم بالقطيعة)

(**ويندبون إلى أن تصل من قطعك**) من الأرحام، لا تقطعه حين يقطع، ليبوء بإثم الذي مَنْ قبله، وتنجو من تلك القطيعة، فلا تقابله فمن كان ذا رحم فلا تقطعه كما قطعك، وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: «إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[1]، وقال: «ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[2]، وقطيعة الأرحام ليس فيها انقسام[3].

وتمام الصلة الحقيقية: بأن تكون أنت الواصل ولو لم يصلك، فإذا فعلت الخير، فالخير ما يجر إلا إلى خير، وهو أن يتقي الله فلا يقطعك.

(لا يقابلون من حرمهم بمثل ما فعل)

(**وتعطيَ من حرمك**) أي: وتعطي من حرمك الذي له حق عليك أن يعطيك، يندبون إلى أن لا تقابله بمثل ما فعل، فإن أهل السنّة يندبون إلى خير الأمرين، فمن عاملك بالحرمان فيما ينبغي أن يعطيك، فأنت لا تقابله بالحرمان، بل ابذل له، ولا تقابله بما قابلك به.

(ويعفون عمن ظلمهم)

(**وتعفوَ عمن ظلمك**) وكذلك من أساء إليك وتعدّى عليك

---

(١) رواه مسلم ٤/١٩٨٣، رقم ٢٥٥٨.

(٢) رواه البخاري ٥/٢٢٣٣، رقم ٥٦٤٥.

(٣) أي: يجب عليك صلتها على كل حال، سواء وصلوك أم قطعوك.

وظلمك، تعفو عنه ولا تقابله بمثل فعله، وإن كان جائزاً، وهو من باب القصاص قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ لكن الأفضل أن تعفو عنه فدرجة العفو درجة عليا.

(الظالم له عند أهل السنّة مرتبتان: المقاصة والمسامحة)

والظالم له عند أهل السنّة مرتبتان: المقاصة والعدل، والمسامحة والفضل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ ثم قال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

(ويأمرون ببر الوالدين لحياة وأمواتاً)

(ويأمرون ببر الوالدين) وهو فعل الجميل معهما، وضده العقوق وهو من المحرمات، وبر الوالدين من الواجبات، والأمر ببرهما جاء قرنه بحق الله تعالى فإنه أعظم حق بعد حق الله وحق الرسول ﷺ، فالوالدان أصلك، وهما سبب إيجادك، فأعظم حق عليك حق الذي خلقك، ثم بعد ذلك حق النبي ﷺ؛ لأنه سبب نجاتك، وبعد ذلك حق الوالدين كما في الآيات التي فيها قَرْن حق الوالدين بحقه تعالى.

ومن بر الوالدين بعد الوفاة: الدعاء والصدقة وهذا ثوابه لهما، وأن توقف وتجعل المثوبة لهما، ومودة أصدقائهما، ففي الحديث: «هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[1].

فبين ﷺ فعل بعض هذه الأوجه، وحديث «من بر الرجل والديه أن يبر ما يود» أو ما هذا معناه[2].

(ويبذلون الخير لذوي الأرحام)

(وصلة الأرحام) بأن تصل الأرحام أي: القرابات، بأن تفعل معها الخير.

فالصلة من الوصل، بأن تبقى بعضها منضم مع بعض بالخير

(١) رواه أحمد ٣/ ٤٩٧، وأبو داود ٤/ ٣٣٦ رقم ٥١٤٢.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٢٨٣، رقم ٧٥٠١ بلفظ: «من بر الرجل أباه بعد موته حفظه أهل ود أبيه من بعده».

والنصح، هذا واجب لكل مسلم، فإن كان رحماً فهو أولى، وفي الحديث: «ليس الواصل بالمكافيء»[1].

(ويحسنون معاملة الجار)

(**وحسن الجوار**) ويأمرون أيضاً بحسن الجوار، يعني: معاملة الجار بالجميل بالمعاملة الحسنة، بكفّ الأذى، وإيراد الخير له، والصفح والستر عما يصير منه إن صار، فحقه كبير عظيم. فإذا كان مسلماً اجتمع له حق الإسلام وحق الجوار، فإن كان قريباً فهو آكد، وفي الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2]، وحسن الجوار حتى مع الذمي إذا تُصُوِّر أن يكون في دار ذمة.

(ويحسنون إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل)

(**والإحسان إلى اليتامى**)، اليتيم: الذي مات أبوه قبل بلوغه، وما بعد البلوغ فليس بيتيم، فاليتيم فَقَدَ مَنْ يعوله ويقوم به، فالإحسان من حيث هو له محله، ولكن من آكد محالِّه اليتامى، وجاء في حق اليتيم أحاديث، منها: «كافل اليتيم أنا وهو كهاتين في الجنة»[3].

(و) الإحسان إلى (**المساكين**): المحاويج، ودخل فيهم المحاويج سواء كان يجد بعض الكفاية أو لا، فأهل السنّة والجماعة يأمرون بالإحسان إليهم بما يدفع مسكنتهم.

(١) رواه البخاري ٥/٢٢٣٣، رقم ٥٦٤٥.
(٢) رواه البخاري ٥/٢٢٣٩، رقم ٥٦٦٩، ومسلم ٤/٢٠٢٥، رقم ٢٦٢٥.
(٣) رواه البخاري ٥/٢٠٣٢، رقم ٤٩٩٨، ومسلم ٤/٢٢٨٧، رقم ٢٩٨٣.

وابن السبيل، والرفق بالمملوك،

(وابن السبيل) يعني: المسافر، فإنه مَحلٌّ للإحسان، وذلك أنه في سفر قد فارق أهله ووطنه فهو بحاجة إلى من يحسن إليه.

(ويرفقون بالمملوك)

(والرفق بالمملوك) النصوص جاءت في الرفق بالمملوك ومواساته، وأنه لا يُكلَّف ما شَقَّ، وفي الحديث: «إخوانكم خَوَلُكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[1].

فهو إنسان آدمي مثلك، فجعل لك عليه الرق نعمة لك وابتلاء وامتحاناً، فمتعين عليك الرفق به عند جهله وغشمه، فجاء في الشرع الرفق به، لكونه تحت يدك ولهذا هو ليس بمملوك من كل جهة.

فيرفق بهم وفي معاملتهم وطعامهم وشرابهم، وسائر ما يحتاجون إليه.

كل هذا مما يأمر به أهل السنّة والجماعة، وأدلته ومكانته وفضله من الكتاب والسنّة معلوم.

(١) رواه البخاري ٢/٨٩٩، رقم ٢٤٠٧.

وينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي والاستطالة على الخلق ـ بحق أو بغير حق ـ،

(وينهون عن الفخر والخيلاء)

(**وينهون عن الفخر**) أي: الافتخار، وذلك بذكر الفضيلة مفتخراً بها على غيره، والفخر لا ينبغي، فإذا كان لدين فهي نعمة يستعين بها على شكر الله[1].

(**والخيلاء**): هي الكبر والتعاظم، فإن المتكبر يتخيل نفسه أعظم مما هي عليه، ويراها أكبر مما هي عليه.

(وينهون عن البغي والاستطالة على الخلق)

(**والبغي والاستطالة على الخلق**): الارتفاع عليهم بيده، أو بكلام، أو نحو ذلك، والتعالي عليهم سواء (**بحق**) عند أسباب ذلك (**أو بغير حق**).

الترفع والزيادة عليهم سواء بحق أو بغير حق، ولا سيما إذا صار فخراً بغير مفخر[2]، فلا توجب نعم الله معصية الله بها، بل توجب طاعة الله بها؛ وفي الحديث: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا

(١) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والافتخار نوعان: محمود ومذموم، فالمذموم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعاً عليهم، والمحمود إظهار الأحوال السنية والمقامات الرفيعة لا على وجه الفخر، بل على وجه التعظيم للنعمة والفرح بها وذكرها والتحدث بها والترغيب فيها، وذلك من المقاصد في إظهارها، كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»، وقال سعد رضي الله عنه: «أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله» مدارج السالكين ٣/ ٤٢٤.

(٢) قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «نهى سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق: وهي الفخر والبغي؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى» اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٦٤.

حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»[1]، ولما بيّن ﷺ ما هو عليه من السيادة قال: «ولا فخر» بل على وجه التحدث بنعمة الله، وفي الحديث: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه»[2]، وفي الحديث الآخر: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب»[3].

والكبر على قسمين: قسم يكون له ملك، وقسم عائل كما في الحديث[4] فهو محرم على كل أحد.

(ويأمرون بالأخلاق العالية وينهون عن رذائلها)

(ويأمرون بمعالي الأخلاق) المعالي: جمع عالي، يعني: العالية الرفيعة مطلقاً التي جاء من الشرع حسنها وأعلاها، وقد قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فيأمرون بكل خلق عالٍ جميل.

(وينهون عن سفسافها) ورذائلها أي: مراذل الأخلاق وسفالات الأخلاق. فهم ينهون عن كل خلق دنيء رذيل.

الخلق: ـ بضم الخاء ـ هو في الصورة الباطنة، ـ وبفتحها ـ في الصورة الظاهرة.

---

(١) رواه مسلم ٤/٢١٩٨، رقم ٢٨٦٥.

(٢) رواه الترمذي ٥/٧٣٤، رقم ٣٩٥٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٣٢.

(٣) رواه الترمذي ٥/٧٣٤، رقم ٣٩٥٤.

(٤) قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم، شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر» رواه مسلم ١/١٠٢ رقم ١٠٧.

وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا وغيره، فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة،

(كل ما يقولونه ويفعلونه متبعون فيه الكتاب والسنّة)

(وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا) الذي تقدم **(وغيره)** مما هو من أنواع الحق من أصولهم وعقائدهم.

(فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنَّة) مِعْولهم ومستندهم الكتاب والسنة.

كل ما تقدم إيضاحه وشرحه عن أهل السنّة، إنما هم أبداً متبعون فيه للكتاب والسنّة، وحبل القياد في يد الكتاب والسنّة، يسيرون حيث سار الكتاب والسنّة، لا استحسان منهم لشيء، ولا نظر لشيء.

وطريقتهم هي دين الإِسلام الذي بعث الله به محمَّداً ﷺ، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إِلَّا واحدة وهي الجماعة. وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أهل السنّة والجماعة،

(طريقتهم هي دين الإسلام)

(وطريقتهم) يعني: كثير من الناس سلكوا طرقاً ـ كالتيجانية وغيرها ـ، فعندما يكون للناس طرائق، فإن أهل السنّة طريقتهم شيء واحد: و**(هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ)** ظاهراً وباطناً، فكأن المصنف بين لهم طريقاً، لكن لا كطريق أهل الطرائق، فقط طريق واحد وهو دين الإسلام، فأهل السنّة ليس لهم دين غير دين الإسلام هذه طريقتهم ظاهراً وباطناً.

(لكن) استدراك مما تقدم وهو قوله: «وطريقتهم هي دين الإسلام»، وهذا الاستدراك إنما هو لإرادة شيء مقدر، وجه قول «أهل السنّة».

(لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة) فهو واقع بكل حال **(كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أهل السنّة والجماعة)** هذا جواب لما ذكر.

(لماذا قيل لهم أهل السنّة والجماعة ولم يقل المسلمون؟)

كأن قائلاً قال: إذا كانت طريقتهم هي الكتاب والسنّة فلم لم يقل: المسلمون؟[1].

قيل: لما تفرق الناس إلى ثلاث وسبعين فرقة، ولما لم يكن متمسكاً بالكتاب والسنّة سوى فرقة واحدة، وهم أهل السنّة والجماعة، لقبوا أهل السنة والجماعة، يعني: أنهم تمسكوا واتحدوا في هذا الطريق، يعني: أنه ليس شيئاً خفياً، ولا من الطرق، بل هو هذا الطريق البيِّن الواضح.

(عبارة أخرى):

قيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، المحض فقط من الثلاث والسبعين هي فرقة واحدة، وهم أهل السنّة والجماعة، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنّة والجماعة، فكأنهم قيل لهم: هم على ما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه، فإن من انتسب إلى الإسلام فيهم بدع، منها ما تخرجهم عن الإسلام، ومنها ما لا تخرجهم من الإسلام، ليس كل من انتسب إلى الإسلام فهذه عقيدته، لا، بل هذه عقيدة فرقة واحدة، وهم أهل السنّة والجماعة[2].

---

(١) (عبارة أخرى): كأن قائلاً قال: إذا كانت طريقتهم هي دين الإسلام، أليس هذا من الطرق التي يلقبون بها، فلم لا يكتفي بذلك وأن يقال لهم: المسلمون؟.

(٢) (عبارة أخرى): إنما قال ذلك، لأن الناس اشتهروا بالطرائق التي تشعبت بالناس كالتيجانية وغيرها، ـ منها ما هو في زمن المصنف وبعده ـ صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أهل السنّة والجماعة.

يعني: إنما لقبوا بذلك؛ لكون أهل السنّة تمسكوا بذلك لا فلانية، ولا فلانية، =

(طبقات الخلق)

(وفيهم الصديقون والشهداء)، هؤلاء طبقاتٌ من الخلق، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فإنهم طبقات بعد الأنبياء، وهذه المذكورة في الآية على الترتيب من الأعلى إلى الأدنى، وفيها أربع طبقات، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾. وأفضل هذه الأصناف: الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون، فالأنبياء مكانتهم شيء معروف، وما سواهم كلهم من هذه الأمة، فطبقات المكلفين المؤهلين للشرع ثمانية عشر مذكورة في مُصنَّف[1].

المقصود أنه في أهل السنّة والجماعة من فيهم هاتان الصفتان.

والصديقون: جمع صديق، والصديق: فعيل من صيغ المبالغة، يعني: كثير وعظيم التصديق بالحق، وهم في هذه الأمة كثير، ورئيسهم وأفضلهم صديق هذه الأئمة أبو بكر الصديق ﷺ، وهو أعظمهم وأكبرهم.

وفي أهل السنّة والجماعة الشهداء جمع شهيد، وأفضل الجهاد القتل في سبيل الله.

فكلهم موجودون في هذه الأمة، يعني: أهل السنّة والجماعة موجود فيهم الصديقون والشهداء.

= أهل سنّة الرسول ﷺ، ومجتمعين على إيثار ما جاء به النبي ﷺ.

(عبارة أخرى) قيل: الجواب أنه لما كان المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنّة والجماعة، قيل لهم: أهل السنّة والجماعة.

(١) ذكرها ابن القيم في آخر كتابه طريق الهجرتين ص ٤٥٣.

وفيهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة.

(الأئمة الكبار في أهل السنّة)

(وفيهم) ـ وفي أهل السنّة ـ **(أعلام الهدى)** المعنوي، الأعلام: جمع علم، وهو في لغة العرب الجبل الكبير العظيم على الطريق، سمي علماً لأنه علم على الطريق التي يعلم به الجهات والطرقات.

يعني: في أهل السنّة أئمة كبار يهتدى بهم في الدين كما يُهتدى بالجبال الكبار.

(و) في أهل السنّة **(مصابيح الدجى)**، المصابيح: جمع مصباح التي تستضيء بنورهم الأمة، وذاك العلماء الكبار، وهم الذين يضيء علمهم ويزول الجهل بضيائها، وقيل لهم ذلك؛ لأنه يهتدى بهم في ظلمات الجهل، وهم كالسرج في الظلم يستضاء بهم، وذلك لما أوتوه من العلم الموروث.

كلهم في أهل السنّة موجودون.

(أولو) يعني: أصحاب **(المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة)**.

وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

(في أهل السنّة أناس أهل صلاح يرحم الله بدعائهم الأمة وهم الأبدال)

(وفيهم الأبدال) الأبدال: هم أناس صلحاء في الأمة تجاب دعواتهم فيدفع الله بدعواتهم عن المسلمين، فبوجودهم في الناس يرحم الله بدعائهم الناس، وسموا أبدالاً؛ لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر، أخذه بعض الناس من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

يعني: في أهل السنّة رجال أهل صلاح وخير لا يزالون في الناس، يرحم الله بسببهم المسلمين ببركة دعائهم، والمصنف ذكر هذه، لأحاديث جاءت في هذا ولكنها ضعيفة، فالمصنف ذكرها يعضد بعضها بعضاً «لا يزال في أمتي أبدال»[1].

(وفيهم أئمة الدين)

(وفيهم أئمة الدين) مثل الأئمة الأربعة أئمة المذاهب وغيرهم من الأئمة قبلهم بأزمان وبعدهم، ووجود الأئمة فيهم دليل أنهم من أهل السنّة وليسوا من أهل البدعة، وصاحب البدعة لا يثنى عليه، بل يذم.

(الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم) من شأنهم طلب الهدى واتباعه، والأئمة ليسوا محصورين في الأربعة لكن الأربعة اشتهروا أكثر.

فإن الأئمة الأربعة كونهم أهل هدى وخير وعلم، لا نزاع

---

(١) رواه الإمام أحمد ٥/ ٣٢٢ رقم ٢٢٨٠٣ بلفظ: «كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً».

وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة».

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم،

بين المسلمين أنهم أئمة، وليسوا معصومين في جميع أقوالهم، فإن المعصومين الرسل، فإنه ليس شرطاً أن لا يوجد في أحد زلة، لا.

(أهل السنّة والجماعة هم الطائفة المنصورة)

(وهم) ـ أي: أهل السنّة والجماعة ـ **(الطائفة)** الباقية وجودها في الناس **(المنصورة)** وهم الفرقة الثالثة والسبعون **(الذين قال فيهم النبي ﷺ)** ـ المثنى عليهم في حديث ـ: **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)** معنى ظاهرين: عالين منصورين، عالين كما في الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، فإن الشيء كلما كان منصوراً صار جلياً، فالظهور تبع للنصر والتأييد، وكلما كان أقل نصرة صار أقل ظهوراً.

(لا يضرهم من خذلهم) يعني: ترك نصرتهم **(ولا من خالفهم)** وضادهم وعاداهم **(حتى تقوم الساعة)**. فإن الله سبحانه وتعالى من عنايته أن تلك الطائفة يحفظ الله بهم الدين، وتقوم بهم الحجج على الأمة.

(فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم) يعني: من تلك الطائفة المنصورة ظاهراً وباطناً، هذا دعاء من المصنف أن يجعله الله منهم وأصحابه، ومن أراد صار حريصاً على هداية الناس.

وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب، والله أعلم.

وصلَّى الله على محمَّد، وآله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

(وأن لا يزيغ) يميل (قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب) يعطي (لنا من لدنه رحمة) يعني: من عنده، منّاً منه وفضلاً، (إنه هو الوهاب، والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً).

الفهرس